جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

سيمائية الألوان الأساسية والثانوية في الحديث النبوي (صحيح البخاري)

إعداد

د/ نورة بنت عيد بن زارع البلوي
قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،
جامعة طيبة بالمدينة المنورة

(العدد الثامن والثلاثون)
(الإصدار الأول .. فبراير)
(١٤٤٦هـ - ٢٠٢٥م)

علمية - محكمة - ربع سنوية
الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

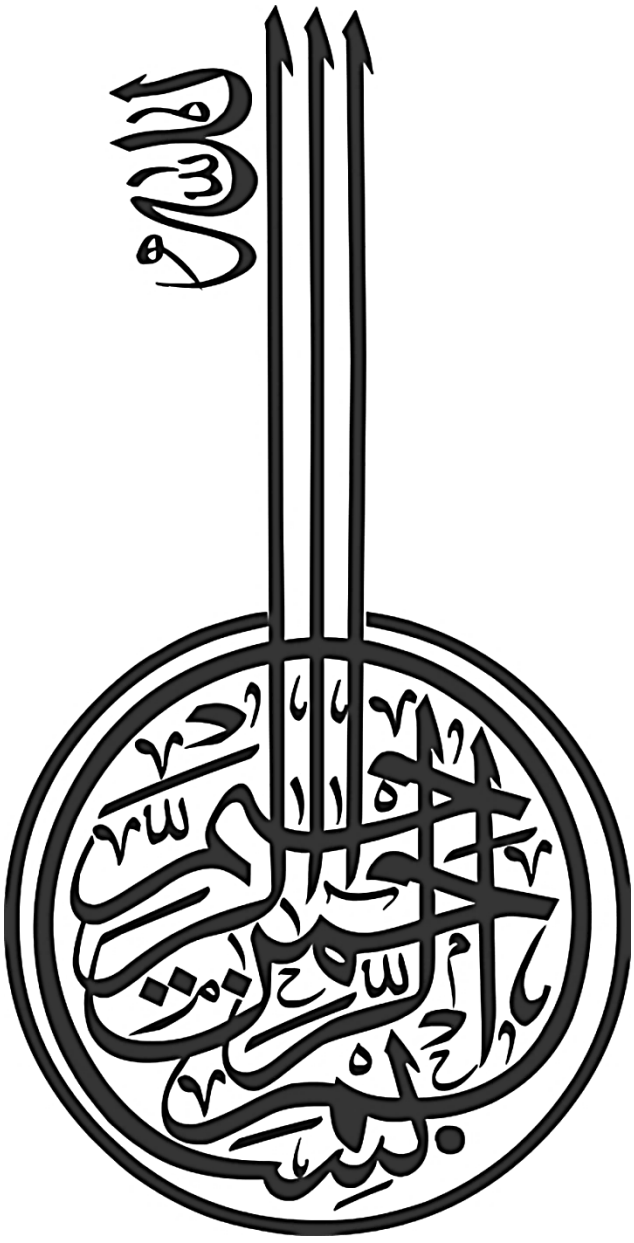

سيمائية الألوان الأساسية والثانوية في الحديث النبوي (صحيح البخاري)

نورة بنت عيد بن زارع البلوي

قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة طيبة بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية.

البريد الإلكتروني: nora235@gmail.com

الملخص:

تناول هذا البحث سيمياء الألوان في الحديث النبوي، وقد جاء البحث في تمهيد وفصلين مختوم بالخاتمة والنتائج والتوصيات، وقد جاء في التمهيد عرض نبذة مختصرة عن خصوصيات الحديث النبوي، وقد قسمت الباحثة الفصل الأول من البحث الموسوم بالسيمائية تعريفًا وتأريخًا إلى مبحثين، كان الأول للسيمائية، وقد تحدثت فيه الباحثة عن تعريفها لغة واصطلاحًا، وروادها، ومصطلحاتها، وأهم مجالاتها، وطرق عملها، فيما تناول المبحث الثاني وهو الألوان التعريف لغة واصطلاحًا، وتصنيفاتها وتأثيراتها، وتوظيفها في الموروث العربي، وتناول الفصل الثاني من البحث الموسوم بسيمياء الألوان الأساسية والثانوية في الحديث النبوي، تناول الألوان الأساسية والثانوية في الحديث النبوي، وقد قُسِّم إلى أربعة مباحث، كان المبحث الأول فيه هو اللون الأحمر، والثاني اللون الأصفر، والثالث اللون الأزرق، والرابع اللون الأخضر، وقد عُرِض لكل لون دلاليا، ثم سيمياء اللون الصريح، وبعدها سيمياء اللون غير الصريح، وقد جاءت النتائج والتوصيات في خاتمة البحث حيث كان من أهم النتائج أن النبي صلى الله عليه وسلم استطاع من خلال الألوان أن يعبّر عما أراد الحديث عنه، وقد أوصت الباحثة بضرورة تناول الحديث النبوي من زوايا بلاغية وأدبية أخرى لأنها تستحق الدراسة.

الكلمات المفتاحية: السيمائية، الألوان الأساسية، الألوان الثانوية، الحديث النبوي، صحيح البخاري.

The semiotics of primary and secondary colors in the Prophetic Hadith (Sahih Al-Bukhari)

Noura bint Eid bin Zare' Al-Balawi
Department of Arabic Language, College of Arts and Humanities, Taibah University, Medina, Kingdom of Saudi Arabia.
Email: nora235@gmail.com

Abstract: This research dealt with the semiotics of colors in the Prophet's hadith, The research included an introduction and two chapters concluded with a conclusion, results, and recommendations, The introduction included a brief overview of the peculiarities of the Prophet's hadith, The researcher divided the first chapter of the research tagged with semiotics in definition and history into two sections, the first was about semiotics, in which the researcher talked about its definition linguistically and terminologically, its pioneers, its terminology, its most important fields, and its methods of work, while the second section dealt with colors, the definition linguistically and conventionally, its classifications, effects, and employment. In the Arab heritage, In the second chapter of the research entitled The Semiology of Primary and Secondary Colors in the Prophetic Hadith, he dealt with four primary and secondary colors in the Prophetic Hadith, and it was divided into sections. The first section was the color red, the color yellow was used, and the color blue was chosen, and the fourth color was green, and it was presented Each color has a connotation, then the semiotics of the explicit color, and then the semiotics of the non-explicit color, The results and recommendations came in the research session, as it was most important that the Prophet, may God bless him and grant him peace, was able, through colors, to express what he wanted to talk about. The researcher recommended that the Prophet's hadith be invoked from other useful rhetorical and literary scenes that would benefit the study.

Keywords: Semiotics, Primary colors, Secondary colors, Hadith, Sahih al-Bukhari.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة:

الحمد لله الذي شرفنا بالإسلام والصلاة والسلام على النبي الخاتم الذي أوتي الحكمة وفصل الخطاب، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم المآب:

يحيط اللون بالإنسان ويعبر من خلاله عما يسكن في ذاته ونفسه من أحاسيسه ومكنوناته الداخلية، ويحدث عبرها تطابقًا بين أفكاره وقيمها الجمالية، ولما كانت الألوان تعطي عمقا جماليا كلاميا تحيل إلى عوالم الألوان الذهنية بارتباطاتها المختلفة، ذهب الأدباء إلى توظيفها في أعمالهم الأدبية، والنبي ﷺ أفصح العرب قاطبة قد وظف اللون في الحديث النبوي خير توظيف، حتى شكلت الألوان عنصرًا مهما من عناصر البناء الفني في حديثه ﷺ بما تحمل من دلالات تعمّق الصورة الأدبية وتضفي إلى نص الحديث عناصر جمالية لا تتحقق إلا بالألوان.

الدراسات السابقة:

لقد اشتغل بعض الباحثين في موضوع الألوان، غير أنه لم يعط حقه الوافر رغم أهميته، ومن هذه الدراسات:

١- اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي، شعراء المعلقات نموذجًا، أمل محمود عبد القادر أبو عون، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، ٢٠٠٣م.

٢- دلالات الألوان في شعر نزار قباني، أحمد عبد الله محمد حمدان، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، ٢٠٠٨م.

ولم تقف الباحثة على دراسة مستقلة لدراسة الألوان في أعمال الحديث النبوي، ومن هذا المنطلق جاءت هذه الدراسة لهذا الجانب في محاولة لكشف أبعادها وأشكالها ماهيتها من خلال استقراء أحاديث النبي ﷺ في صحيح

البخاري، للخروج برؤية واضحة عن كيفية توظيفه للألوان في مجمل أحاديثه عليه الصلاة والسلام.

منهج الدراسة:

لقد تعددت المناهج النقدية الحديثة التي من خلالها يتم الكشف عن أعماق النصوص الأدبية، ومن هذه المناهج وقع الاختيار على المنهج السيميائي؛ لأنه يقف عند دواخل النفس وتحليلها والبحث عن دلالتها، ويهتم بدراسة العلامات اللغوية وغير اللغوية في النص دراسة منتظمة، فهو نظام أو منهج ذو أبعاد دلالية ورموز تستوقف الباحث للكشف عن دلالاته ومحاولة فك شفراته الرامزة استنادا لما فسره علماء النفس، وعلماء الفن أصحاب الصلة بالألوان، بالإضافة إلى اعتماد الباحثة في كثير من الأحيان على المنهج الوصفي التحليلي؛ وذلك لمناسبة هذا المنهج لمثل هذه الدراسات فهو يقوم على وصف الظواهر والكشف عن علل الظاهرة وتحليل أسبابها ونتائجها.

هيكلة الدراسة:

قسمت الدراسة إلى تمهيد وفصلين، وقد جاء في التمهيد عرض نبذة مختصرة عن بلاغة الحديث النبوي.

قسمت الباحثة الفصل الأول من البحث الموسوم بالسيميائية تعريفًا وتأريخًا إلى مبحثين، كان الأول للسيميائية، وقد تحدثت فيه الباحثة عن تعريفها لغة واصطلاحًا، وروادها، ومصطلحاتها، وأهم مجالاتها، وطرق عملها، فيما تناول المبحث الثاني وهو الألوان التعريف لغة واصطلاحًا، وتصنيفات الألوان، وتأثيرها على الإنسان، وتوظيفها في الموروث العربي.

وتناول الفصل الثاني من البحث الموسوم بسيمياء الألوان الأساسية والثانوية في الحديث النبوي، تناول الألوان الأساسية والثانوية في الحديث النبوي وقد قُسِمَ إلى أربعة مباحث، كان المبحث الأول فيه هو اللون الأحمر، والثاني اللون الأصفر، والثالث اللون الأزرق، والرابع اللون الأخضر، وقد سارت الباحثة

في هذه المباحث بوتيرة واحدة، بحيث كانت البداية في كل مبحث من عرض لدلالات كل لون في عمومه، ثم سيمياء اللون الصريح، وبعدها سيمياء اللون غير الصريح.

صعوبات الدراسة:

اعترضت الباحثة بعض المصاعب التي كان من أبرزها ندرة البحوث السيميائية التطبيقية لا سيما في موضوع الألوان، فاستعانت الباحثة ببعض المراجع القليلة لإحاطة الموضوع من كافة جوانبه، كما كانت ندرة المراجع التي تتكلم عن الألوان في الحديث النبوي من أكبر العوائق التي اعترضت الباحثة مما اضطرها إلى اللجوء إلى بعض الدوريات، وبعض البحوث المنشورة على الشبكة العالمية (الانترنت).

التمهيد

خصوصيات الحديث النبوي

أولاً بلاغة الخطاب النبوي وأسبابها:

الحديث النبوي في الذروة من البيان، ولا يرتفع فوقه في مجال الأدب الرفيع إلا كتاب الله بلاغة وفصاحة وروعة، وما أجود ما قال الجاحظ في شأنه:

(هو) الكلام الذي قلّ عدد حروفه، وكثرت معانيه، وجل عن الصنعة، ونزه عن التكلف، واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب والوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة، وشيد بالتأييد، ويسر بالتوفيق، وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشّاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حسن الإفهام، وقلة عدد الكلام... لم تسقط له كلمة، ولا زلت به قدم، ولا بارت له حجة، ولم يقم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبذ الخطب الطوال بالكلم القصار ... ولا يحتج إلا بالصدق، ولا يطلب الفلج إلا بالحق، ولا يستعين بالخلابة... ولم يسمع الناس بكلام قَطّ أعم نفعًا، ولا أقصد لفظًا، ولا أعدل وزنًا، ولا أجمل مذهبًا، ولا أكرم مطلبًا، ولا أحسن موقعًا، ولا أسهل مخرجًا، ولا أفصح معنى، ولا أبين فحوى من كلامه ﷺ)[١] .

وقال أبو حيان يصف بلاغة الكلام النبوي:

(فإنها السبيل الواضح، والنجم اللائح، والقائد الناصح والعلم المنصوب، والأمم المقصود، والغاية في البيان، والنهاية في البرهان، والمفزع عند الخصام، والقدوة لجميع الأنام[٢] .

وفصاحته ﷺ أمر لا يشك فيه عاقل، ذلك أن القوم الذين أرسل إليهم هم

---

(١) ينظر: البيان والتبيين، ج ٢، ص ١٧ .

(٢) ينظر: البصائر والذخائر ، أبو حيان التوحيدي، تحقيق د. وداد القاضي ، ط(١)، دار صادر، بيروت، ١٤٠٨هـ ، ١٩٨٨م، ج ١ ، ص ٨.

أئمة البيان وهم في خصومته قوم لد، لا تنقطع بهم حجة، ولا يعوزهم منطق بليغ، قد نعتوا الرسول بأوصاف عديدة كيداً ومخاصمة، ولكنهم لم يستطيعوا أن ينعتوه بما ينال من فصاحته، لأنهم يعلمون أن مثل هذه الفرية زائفة باطلة لدى دهماء الناس جميعًا.

وهو ﷺ أفصح العرب، لكن الفرق بينه وبين الفصحاء يتفق مثله في الناس، ويبقى في حدود الطاقة البشرية، وليس أمرًا خارقًا للعادة بالكلية، بل إن الفرق بينه وبين الفصحاء يشبه الفرق بين البليغ والأبلغ... والحسن والأحسن... ولذا فقد استطاع بعضهم أن يأتي بقريب من كلامه ﷺ، وبذلك يفسر وجود الحديث الموضوع، إذ أن هؤلاء الوضّاعين كانوا يتحرّون احتذاء الرسول بأسلوبه وخصائصه البيانية[1] .

١- وإن للنشأة اللغوية التي نشأها ﷺ تأثيراً في فصاحته، فهو من قريش، وأخواله من بني زهرة، واسترضع في بني سعد بن بكر، وخالط في حياته بطون قريش والأنصار، فكانت هذه النشأة مراناً حياً، بأحسن الأساليب، وأفصح اللهجات في العرب قاطبة.

٢- هذه النشأة اللغوية النقية الخالصة صقلت تلك الموهبة الفذة التي لا نظير لها في المواهب البشرية ... وتتمثل هذه الموهبة في فطرة صافية وذهن جوال، وبصر نفاذ، ونفس مجتمعة فاضلة، وإحساس دقيق مرهف، وبديهة حاضرة، وليس غريبًا أن يجتمع ذلك كله لرسول الله ﷺ لأن الله أعلم حيث يجعل رسالته، وهو سبحانه يصنع رسله على عينه بما تقتضيه حكمته.

٣- وكذلك فإن الذي مكّن لفصاحته ﷺ، أن تنمو وتقوى، ويشتد أسرها تأثر الرسول ﷺ بأسلوب القرآن الكريم، وذلك أمر طبيعي جلي، فعلى قلبه

(١) ينظر: النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، د. محمد عبد الله دراز، دار القلم بالكويت ١٣٩٠هـ، ١٩٧٠م، ص ١٠٢ وما بعدها.

المتصل بجلال الله تنزل القرآن ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴾[الشعراء: ١٩٣-١٩٤]، ومن لسانه تلقاه المسلمون ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ ﴾[المائدة: ٦٧]، وبأمره سجله الصحابة وكتبوه. وبالقرآن كان يحكم بين الناس ﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾[النحل: ٤٤] وبتلاوته أمر فكان يقرؤه آناء الليل وأطراف النهار ﴿ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ ﴾[النمل: ٩٠-٩٢] ﴿ٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ﴾[العنكبوت: ٤٥] .

فلا غرو أن يتأثر به الرسول ﷺ وأن يتخرج في مدرسته، ولقد وصفت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: كان خُلُقه القرآن[١] .

وقد ذكر الأستاذ محمد الخضر حسين حديثاً نبوياً في وصف السحابة جعل رجلاً يقول للنبي: يا رسول الله ما أفصحك ما رأينا الذي هو أعرب منك، فقال ﷺ: «حق لي فإنما أنزل القرآن عليَّ بلسان عربي مبين »[٢] .

ومن هذه الأمثلة على تأثره بأسلوب القرآن قوله ﷺ: «إن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون[٣] ، وقوله: «.. حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضر موت لا يخشى إلا الله أو الذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون[٤] .

(١) ينظر: البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير، مكتبة المعارف ، بيروت، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م ج٦، ص ٣٥.

(٢) ينظر: محمد رسول الله، محمد الخضر حسين، ط دمشق، ١٣٩١ هـ – ١٩٧١م، ص ٨٠.

(٣) ينظر: صحيح مسلم بشرح الإمام محيي الدين النووي، المطبعة المصرية، ١٣٤٧هـ، ج٨، ص ٨٩، برقم ٢٧٤٢ .

(٤) ينظر: صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، ط دار ابن كثير، دمشق، بيروت ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م، ج ٤ ، ص ١٦٠ ، برقم ٣٦١٢

ثانيًا: أداء الرسول ﷺ للحديث:

لقد توافرت للحديث النبوي كل أسباب الجودة وسنحاول فيما يأتي إيضاح ذلك في الأداء والمعنى، والأسلوب.

ونتحدث أولاً عن الأداء:

لم تكن فصاحته ﷺ مقصورة على جودة الأسلوب، وعمق المعنى، بل جاوزت ذلك إلى الأداء، فكان ﷺ ضليع الفم، يستعمل فمه جميعاً إذا تكلم، ولا يقتصر على تحريك الشفتين فحسب، وكان عليه الصلاة والسلام طويل السكوت، لا يتكلم في غير حاجة، وإذا تكلم لم يسرد سرداً، بل فصل وتمهل وأبان ورتل.

روى البخاري والترمذي عن أنس: أن النبي ﷺ كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه، وإذا أتى على قوم فسلم عليهم سلم عليهم ثلاثًا[١] . ولو أراد العادُّ أن يحصي كلماته لأحصاها[٢] . وكان كلامه فصلاً يفهمه كل من سمعه. وتقول السيدة عائشة: إن رسول الله ﷺ لم يكن يسرد الحديث كسردكم[٣] .

وكان يعطي الكلام ما يستحق من اللهجة حتى إن ما يختلج في صدره كان يبدو على وجهه، وصفه جابر فقال: «كان إذا خطب احمرّت عيناه وعلا صوته، واشتد غضبه، كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم »[٤] .

وكان لحركته وإشارته موضع كبير في إجادة الأداء، فحركته معبرة تستلفت النظر وتنبه الغافل، وتعين على الحفظ والذكر.

فإذا أراد ذكر القلب مثلاً أشار إلى صدره، كما في قوله ﷺ: «التقوى ههنا»[٥] ...

---

(١) ينظر: صحيح البخاري، ج ٢٥/١، برقم ٩٥.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ج ٤ ، ص ١٥٢ ، برقم ٣٥٦٧ .

(٣) متفق عليه، أخرجه البخاري، ج ٤ ، ص ١٥٢، برقم ٣٥٦٨.

(٤) رواه مسلم، ج ٣، ص ١١، برقم ٨٦٧

(٥) رواه مسلم ، ١١/٨، ج ٨، ص ١١.

وإذا أراد الملازمة أشار بسبابته والتي تليها، كما في قوله ﷺ: «أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا» وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما[١] .

وإذا أراد وصف رضاع الطفل وضع سبابته في فيه، كما في الحديث الطويل الذي رواه البخاري ومسلم: (ثم أقبل على ثديه فجعل يرضع) يقول راوي الحديث: "فكأني أنظر إلى رسول الله ﷺ وهو يحكي ارتضاعه بأصبعه السبابة في فيه فجعل يمصها"[٢] .

وإذا أراد أن يؤكد أهمية الموضوع غير جلسته كما في حديث شهادة الزور: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟» .. قلنا: "بلى يا رسول الله"... قال: «الإشراك بالله وعقوق الوالدين» وكان متكئاً فجلس فقال: «ألا وقول الزور». فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت[٣].

وكان ينفعل بكلامه فيبتسم إذا كان في حديثه ما يوجب ذلك، ويبكي إذا كان في كلامه ما يوجب ذلك.

إنَّ اداء الرسول ﷺ بلغ من الجودة والتقدم مبلغاً لم يصل إليه مخلوق، وزاد ذلك الجمال أسلوب النبي ﷺ حسناً على حسن.

وكان لشخصية الرسول ﷺ الجذابة أثر كبير في كون الأداء قد بلغ الذروة، فقد ورد في وصفه ﷺ أن له هيبة وجلالاً، فإذا تكلم بين أصحابه كانوا كأن على رؤوسهم الطير[٤] .

(١) رواه البخاري ، ج ٧، ص ٤٦، برقم ٥٣٠٤.

(٢) رواه البخاري ، ج ٤ ، ص ١٣٢، برقم ٣٤٣٦.

(٣) رواه البخاري، ج ٣، ص ١٥٠ ، برقم ٢٦٥٤ .

(٤) ينظر: رواه البخاري برقم ٢٨٤٢.

الفصل الأول

السيمياء

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: السيميائية تعريف وتأريخ.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف السيمياء لغة واصطلاحا.

المطلب الثاني: المصطلحات السيميائية

المبحث الثاني: الألوان:

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف ودلالة.

مطلب الثاني: تصنيف الألوان.

المطلب الثالث: اللون وتأثيره على الإنسان.

المطلب الرابع: الألوان في الموروث العربي.

المبحث الأول: السيميائية تعريف وتأريخ

المطلب الأول: تعريف السيمياء لغة واصطلاحاً

أولاً: السيمياء لغة:

السيمياء لفظ أصيل عربي جاء في المعاجم العربية السُّومة والسِّيمة والسِّيماء والسِّيمياء وكلها من أصل لغوي واحد ومن مادة لغوية واحدة وهي سَوَم، وهي العلامة التي يعرف بها الخير والشر، وسوم الفرس أي جعل عليها السيمة وجمعها سِيم، كقيمة قيم(١).

قال أبو بكر بن دريد "قولهم عليه سِيما حسنة، معناه، علامة، وهي مأخوذة من وَسَمْتُ أسمُ، والأصل في سيما وِسْمَى فحُوِلت الواو من موضع الفاء، فوضعت في موضع العين، كما قالوا ما أطيبه وأيطبه، فصار سِوْمَى، وجعلت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها(٢).

فالسوم العلامة، قال الجوهري: السومة العلامة تُجعل على الشاة وفي الحرب أيضاً، وقال: ابن الأعرابي: السيمة: العلامة على صوف الغنم، والجمع السِّيمُ(٣).

ولقد جاء في التنزيل: ﴿وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ﴾ [آل عمران، ١٢٥] أورد الطبري في تفسير هذه الآية في سياق الحديث عن المعركة وعن الخيل كجزء منها، فقال – والحديث عن الخيل: "معلمين، مجزورة أذناب خيلهم، ونواصيها – فيها الصوف والعهن، وفي موضع آخر قال: فذلك التسويم، ثم قال مسومين

(١) تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، ت: عبد السلام هارون، دار القومية العربية للطباعة، القاهرة، ١٩٦٤م، (١١٢/١٣).

(٢) تاج العروس من جواهر القاموس: السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، ت: عبد الستار أحمد فراج، طبعة حكومة الكويت، ١٩٦٥م، (٤٣٢/٣٢) .

(٣) تاج العروس (٤٣١/٣٢).

معلمين"[١]، وقال كثير من المفسرين مسومين: مرسلين خيلهم في الغارة[٢].

وجاء قول الله تعالى: ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ﴾ [هود: ٨٣] قال ابن كثير: "مسومة أي معلمة مختومة عليها أسماء أصحابها كل حجر مكتوب عليه اسم الذي ينزل عليه"[٣]، أورد الشوكاني معنى (مسومة) معلمة بعلامات تعرف بها قيل كانت مخططة بحمرة وسواد في بياض[٤].

وردت كلمة السيما في المعجم العربي مقصورة وممدودة، جاء ذكرها في القرآن الكريم مقصورة ست مرات دون ذكرها ممدودة، ومنها قوله تعالى: ﴿تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ﴾ [البقرة ٢٧٣]، وقوله تعالى ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾ [الفتح: ٢٩].

إن مشتقات لفظة السيمياء وردت بدلالات مختلفة ولكنها تتفق في المعنى العام لها حسب الآيات وهو (العلامة)، سواء كانت هذه (العلامة) متصلة بملامح الوجه أو الهيئة أو الأفعال أو الأخلاق المتعلقة جميعها بالإنسان أو مرتبطة بغير الإنسان مثل الخيل كما في الآية ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤]، وكانت لآية الفتح قراءة أخرى شاذة غير مشهورة وهي "سِيمِياؤهم" بياء بعد الميم والمد،

(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر بن جرير الطبري، ت: أحمد محمد شاكر، ط ٢، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، (١٨٧/٧) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن: أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي القرطبي، ت: عبد الله بن عبدالمحسن التركي مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ٢٠٠٧م، ج٥، ص (٣٠١) .

(٣) تفسير القرآن العظيم: ابن كثير الدمشقي، ت: مصطفى السيد محمد وآخرون، مؤسسة قرطبة، ط ١، الجيزة – مصر، ١٤٢٤هـ – ٢٠٠٦م، ج٤، ص (١٨٠) .

(٤) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد الشوكاني، دار الخير، ط ١، بيروت، ١٩٩٢م، ج٢، ص (٥٨٥) .

وهي لغة فصيحة[١].

وقد جاءت هذه الكلمة على لسان النبي صلى الله عليه وسلم في غير حديث، منها قوله عليه السلام: «سيكون في أمتي اختلافٌ وفرقةٌ، قوم يحسنون القيل، ويسيئون الفعل، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية لا يرجعون حتى يرتد على فوقه، هم شرار الخلق والخليقة طوبى لمن قتلهم وقتلوه، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء، من قاتلهم كان أولى بالله منهم، سيماهُم التحليق»[٢].

أما ذكرها في الشعر، فقد جاءت في أكثر من موضع شعري، منها قول النابغة الجعدي[٣]:

ولهُم سِيما إذا تُبْصِرُهُمْ * ينَتْ رِيبةَ من كانَ سَأَلْ**

وقول ابن عبد ربه الأندلسي[٤]:

على وجههِ سِيما المكارِمِ والعُلا * فضاءَتْ به الآمالُ وابتهجَ الشَّعرُ**

وقد وردت ممدودة، وإذا كانت كذلك فالهمزة فيها منقلبة عن حرف زائد للإلحاق: إما واو وإما ياء، فالهمزة للإلحاق لا للتأنيث وهي منصرفة لذلك[٥]،

(١) الدر المصون في علم الكتاب المكنون: أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، ت: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق ج٩، ص (٧٢١) .

(٢) سنن أبي داوود: سليمان بن الأشعث أبو داوود السجستاني الأزدي، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية – صيدا – بيروت، (٢٤٣/٤) .

(٣) ديوان النابغة الجعدي، تحقيق: واضح الصمد، دار صادر، ط ١، بيروت، ١٩٩٨م، ص (١٢٠) .

(٤) ديوان ابن عبد ربه، ت: محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، ط ١، بيروت، ١٩٧٩م، ص (٦٦) .

(٥) الدر المصون (٦٢٢/٢)

ومثالها ما ورد في شعر للبحتري[١]:

وَعَلَيهِ مِنَ النّدَى سِيمياءٌ * وَصَلَتْ مَدْحَهُ بكُلّ لِسَانِ**

ومنها قول ابن عنقاء الفزاري[٢]:

غُلَامٌ رَمَاهُ اللهُ بالخَيرِ مُقْبِلاً * لَهُ سِيمياءٌ لا تَشُقُّ عَلَى البَصَرِ**

وقد أورد ابن خلدون في مقدمته فصل في علم أسرار الحروف، الذي يسميه السيميا؛ فيقول في علم أسرار الحروف: "وهو المسمى لهذا العهد بالسيميا... والأكوان من لدن الإبداع الأول تتنقل في أطواره وتعرب عن أسراره فحدث لذلك علم أسرار الحروف، وهو من تفاريع علم السيمياء"[٣].

ومما سبق يتبين أن السيمياء هي العلامة المميزة لمعنىً معلومٍ عند مَن يحملها.

ثانيًا: السيمياء اصطلاحًا:

لم يخرج التعريف الاصطلاحي للسيمياء عن الإطار الذي فرضه البيان اللغوي العام للكلمة وهو (العلامة) على النحو الذي تقدم، ولكن هذا لا يجعل من تعريف المصطلح أمرا سهلا أو هينا في ذاته، فهذا العلم كان موضع خلاف في اللغات والثقافات المختلفة؛ وكانت ذروة الخلاف في التسمية العامة، فاختلفت التسمية من لغة وثقافة إلى أخرى؛ فأطلقت المدرسة الأوروبية متمثلة بالسويسرية عليه مصطلح (السيميولوجيا)، فيما قابلته المدرسة الأمريكية بمصطلح (السيميوطيقيا)، وكان آخر المصطلحات ظهورا ما أُطلق عليه في العربية – وما

---

(١) ديوان البحتري، ت: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، ط ٣، مصر، ج٤، ص (٢١٩٩) .

(٢) الدر المصون (٦٢٢/٢) .

(٣) مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق: حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، ط ١، القاهرة، ٢٠٠٤م، ص (٦٢٠ – ٦٢١).

نحن بصدده – مصطلح (السيميائية)، فيما فضّل بعض العرب البقاء على المصطلح الأكثر مدلولا على هذا العلم وهو مصطلح (العلامة)، وهذا تسبب في شيء من تباين المصطلحات التي اعتمدها الكتَّاب والنقاد –وخصوصا العرب منهم – أصحاب الصلة بالسيمياء، فكان منهم من استخدم المصطلح الأوروبي تارة، والمصطلح الأمريكي تارة، دون إهمال المصطلح العربي، فنجد مثلا من العرب عصام خلف كامل يتبنى المصطلح الأوروبي في تسمية كتابه (الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر)، ولكن في المقابل كتاب (السيمياء والتأويل) لروبورت شولز، وكتاب (سيميوطيقيا العنوان في شعر عبد الوهاب البياتي) لعبد الناصر حسين محمد، والكثير من الدراسات التي تحمل السيمياء، مع الإشارة إلى أن هذا التباين لم تمنع توحيد المصطلحات جميعا في تعريف يجمع بينها.

لقد تعددت تعريفات السيمياء، ولكنها لم تخرج جميعا عن كونها العلامة التي تدل على الأشياء؛ فاتفق السيميائيون على أن السيمياء تدل على شيء محدد واضح ومعلوم فتعرّف السيمياء (أيا كانت التسمية) على أنها: ذلك العلم الذي يبحث في أنظمة العلامات سواء كانت لغوية أم أيقونية أم حركية، وبالتالي فإنها تبحث في العلامات غير اللغوية التي تنشأ في حضن المجتمع[١]، "والسيميولوجيا لدى دارسيها تعني علم أو دراسة العلامات (الإشارات) دراسة منظمة منتظمة[٢]، ولعل من أهم التعريفات التي يجب أن يشار إليها ما قاله رائد هذا العلم السويسري دي سوسير حيث يفسر مفهوم السيميولوجيا في قوله: "اللغة نظام من العلامات التي تعبر عن الأفكار ويمكن تشبيه هذه بنظام الكتابة، أو الألفباء المستخدمة عند فاقدي السمع والنطق، أو الطقوس الرمزية أو الصيغ المهذبة، أو العلامات العسكرية، أو غيرها من الأنظمة، ولكنه أهمها جميعا،

(١) ينظر: بناء المعنى السيميائي في النصوص والخطابات جميل حمداوي، ص (٤) .

(٢) دليل الناقد الأدبي: ميجان الرويلي وسعد البازعي، المركز الثقافي العربي، ط ٣، الدار البيضاء – المغرب، ٢٠٠٢م، ص (١٧٧) .

ويمكننا أن نتصور علما موضوعه دراسة حياة العلامات في المجتمع، مثل هذا العلم يكون جزءا من علم النفس الاجتماعي، وهو بدوره جزء من علم النفس العام، وسأطلق عليه علم العلامات Semiology)[١]، أما بورس وهو رائد المدرسة الأمريكية فيربطها بالمنطق فقال: "ليس المنطق العام إلا اسما آخر للسيميوطيقيا، والسيميوطيقيا نظرية شبه ضرورية أو نظرية شكلية للعلامات"[٢]، فيما نجد لاروس في قاموسه يرى السيمياء – أو السيميوطيقيا كما أسماها – بأنها: "العلم الذي يدرس أنماط إنتاج وتشغيل واستقبال مختلف أنظمة الرموز التي تسمح وتضمن التواصل بين الأفراد، أو فرد، وجماعات، وأن هذا العلم يطبق بشكل خاص في مجال الاتصال[٣].

من التعريفات السابقة نخلص أن السيمياء علم يدرس العلامات أو الإشارات أو الدلالات التي يتبناها الإنسان للتواصل مع الآخرين والتعبير عما في داخله؛ ويدرس ويهتم بكيفية بناء الإنسان الاجتماعي، فهو علم يدرس كيفية التواصل الاجتماعي بين الأفراد في المجتمع الواحد، ويدرس حياة الرموز في الحياة الاجتماعية؛ وبذا فإن البحث السيميائي يهتم بدراسة العلامات اللغوية وغير اللغوية دراسة منتظمة ينطلق من التركيز على العلاقة بين الدال والمدلول ؛ وعليه فإنه يولي اهتماما بدراسة الرموز والإشارات وأنظمتها المختلفة، وهو يقوم على دراسة اللغة على أنها علامات تواصل.

إن الاتفاق في التعريف العام للمصطلحات الثلاثة ودمجها في تعريف واحد للدلالة عليها جميعا لم ينفِ وجود فوارق بين هذه الدوال، مع الاتفاق على

(١) الاتجاه السميولوجي ونقد الشعر: عصام خلف كامل، دار فرحة للنشر والتوزيع مصر، ٢٠٠٣م، ص (١٧).

(٢) معجم السيميائيات: فيصل الأحمر، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط ١، بيروت، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م، ص (١٧).

(3) La rousse.2012, Paris

أن السيمياء العربية أقرب إلى السيميولوجيا الأوروبية منها إلى السيميوطيقيا الأمريكية، فعلى الرغم من ظهور الأخيرتين في مرحلة زمنية متقاربة، فإن بحث كل منهما استقل وانفصل عن الآخر؛ فالأول بشر به دي سوسير في محاضراته، فقد بشر بـ "ظهور علم جديد سماه السيميولوجي (Sémiologie) الذي اهتم بدراسة الدلائل أو العلامات في قلب الحياة الاجتماعية ولن يعدو أن يكون موضوعه الرئيسي مجموعة الأنساق القائمة على اعتباطية الدلالة وهذا العلم يشكل جزءا من علم النفس العام[١] فيما نحى بورس في السيميوطيقيا منحى فلسفيا منطقيا يعتقد فيه أن النشاط الإنساني نشاطا سيموطيقيا في مختلف مظاهره وتجلياته، ويعد هذا العلم في نظره إطارا مرجعيا يشمل كل الدراسات، فيقول بورس: "إنه لم يكن باستطاعتي يوما ما دراسة أي شيء– رياضيات كان أم أخلاقا أو ميتافيزيقا أو جاذبية أو ديناميكا حرارية أو بصريات أو كيمياء أو تشريحا مقارنا أو فلكا أو علم نفس أو علم صوت، أو اقتصاد أو تاريخ علوم أو رجالا أو نساء، أو خمرا، أو علم مقاييس هذه الدراسة سيميوطيقية"[٢] ؛ فلا يمكننا – حسب بورس – إدراك عالمنا الخارجي بكل مكوناته إلا من خلال السيميائية.

"إذاً، فالسيميوطيقا عند بورس تعني نظرية عامة للعلامات وتمفصلاتها في الفكر الإنساني، ثم إنها صفة لنظرية عامة للعلامات والأنساق الدلالية في كافة أشكالها ؛ وبالتالي تعد سيميوطيقيا بورس مطابقة لعلم المنطق[٣] "

على الرغم من أن السميولوجيا مرتبطة بعلم اللسان، والسميوطيقا مرتبطة

(1) Ferdinand de saussure, Cours de linguistique générale, Payot, 1916, p. (33- 34). Synthèse éditée par ses élèves C. Bally et A. Sechehaye à partir des notes du. cours donné entre 1906 et 1911 à l'université de Genève

(2) Charles Sanders Peirce, Ecrits sur le signe, Paris, Seuil, 1978, p. (135) (vers). 1906

(٣) مدخل إلى المنهج السيميائي: جميل حمداوي، موقع ندوة، ٢٠١٤/٥/٢٠م.

بالمنطق فإن هاتين الكلمتين مترادفتان مهما كان بينهما من اختلافات، فالسيميولوجيا تصور نظري، والسيميوطيقا إجراء تحليلي وتطبيقي؛ أي أنه يمكن القول بأن السيميولوجيا هي علم ونظرية عامة ومنهج نقدي تحليلي وتطبيقي.

المطلب الثاني: المصطلحات السيميائية

وضع منظرو السيميائية مصطلحات ومفاهيم خاصة بهذا العلم لتيسير دراسته، وللحد من الخلط بين السيميائيات وغيرها من المناهج النقدية والعلوم الأخرى، إلا أن تلك المفاهيم لم تكن حكرا على السيميائية فقط، وإنما تدل على معلوم في مجالها، وعلى الرغم من ذلك فإن هذه المفاهيم لم تكن دائما موضع اتفاق بين السيميائيين، بل إنهم اختلفوا في بعضها، وأذكر هنا بعض هذه المفاهيم وأهمها دون الإشارة إليها جميعا، ومن هذه المفاهيم:

١- العلامة: أفضى البحث السيميائي – ومن خلال التعريفات – إلى ظهور أحد أهم المفاهيم التي يدور حولها جل الدراسة السيميائية، وهو العلامة، ولا يمكن فصل مصطلح العلامة ومفهومها عن سلسلة المصطلحات الخاصة بالسيميائية وفلسفتها، ومن الصعوبة بمكان الاتفاق على مفهوم موحد للعلامة؛ نظرا لاستخدام علماء السيمياء عدة مصطلحات دالة عليها، ومنها مصطلحا الإشارة والرمز، وقد أطلق عليها دي سوسير اسم الدليل، والدليل عنده يتكون من مكونين وهما الدال والمدلول، ولا يمكن لأحدهما الاستغناء عن الآخر، فيقول عن الدليل: "هو وحدة نفسية ذات وجهين... وهذان العنصران مرتبطان ارتباطا وثيقا ويتطلب أحدهما الآخر... ونطلق على التأليف بين التصور والصورة السمعية الدليل، ونقترح الاحتفاظ بكلمة دليل لتعيين المجموع، وتعويض التصور والصورة السمعية على التوالي، بمدلول ودال"[(١)].

(١) دروس في السيميائيات: مبارك حنون، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، ص (٣٧) .

ويرى عادل الفاخوري "أنه جرى العرف على استخدام كلمة "Signe" أي علامة بمعنى الدال، ففي اللغة يقال مثلا أن لفظة "إنسان" هي علامة تدل على الانسان"[١]، وهذا يحيلنا ويذكرنا بتعريف ابن جني للغة على أنها "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"[٢]، ومعنى ذلك أن اللغة عبارة عن نظام من العلامات والرموز، تكتسب قيمتها من خلال اتفاق مستعمليها عليها، وما تعبر عنها هذه الرموز أو الإشارات؛ وبهذا فإن الإنسان منذ نشأته قد استعمل اللغة، وهو بذا يكون قد وجد نفسه أمام نظام هائل من العلامات التي تحيط به في كل مكان، وتملأ عليه فضاءات كونه الواسع.

يقسم بعض النقاد العلامة إلى نوعين، هما[٣]:

أ- العلامة اللسانية (اللفظية): ويقصد بها الكلام المنطوق، وعلامات الكتابة أو الحروف بأي لغة كانت، ومؤدى هذا أن من يمتلك اللغة هو من يمتلك الفكر وحق التوجيه والسيادة، وتنقسم العلامة اللفظية إلى عدة أنواع أخرى، وهي:

- العلامة الوصفية، ومثالها: اللون الدال على شيء ما.
- العلامة الفردية ومثالها النصب التذكاري.
- العلامة العرفية، وهي قانون أو مبدأ عام على شكل علامة، ومثالها: الدخان الذي هو أمارة على وجود النار.
- الرمز، وهو يحيل إلى موضوعه بفضل قانون أو أفكار عامة مشتركة.

---

(١) تيارات في السيمياء: عادل الفاخوري، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط ١، بيروت، ١٩٩٠م، ص (١١) .

(٢) الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني، ت: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، د ط، ١٩٥٢م، ج١، ص (٣٣) .

(٣) ينظر: فاعلية السيميائية كاستراتيجية مقترحة في تنمية الإبداع اللغوي من خلال قراءة النص الرمزي (نصف كلمة لأحمد رجب) لدى طلاب كلية التربية: نادية أبو سكينة، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس، ع ١٤٣، فبراير ٢٠٠٩م، ص (٨٤) .

- الخبر، أي إنه مدرك باعتباره يمثل هذا النوع أو ذاك من الموضوع الممكن.
- البرهان، وهو علامة تشكل بالنسبة إلى مؤولها علامة قانون.

ب- العلامات غير اللسانية (غير اللفظية): وهي التي تقوم على أنواع سننية أخرى غير الأصوات والحروف، وهي على نوعين، وهما:

- علامات عضوية مرتبطة بجسم إنسان مثل: حركات الجسم، وأوضاع الجسد والعلامات الشمية والسمعية، والذوقية.
- علامات أدائية تحيل على أشياء خارجة عن العضوية الإنسانية مثل: الملابس والموسيقى، وإشارات المرور.

٢- الرمز: تقارب السيميائيون في تعريفهم للرمز وترادفت أقوالهم، فسوسير يتحدث عن الرمز في خضم حديثه عن الدال والمدلول، فيطلق الرمز على ما أطلق عليه مصطلح الدال معللا أن استخدام لفظ الرمز لا تتفق مع الاعتباطية، فيقول: "من مميزات الرمز أنه لا يكون اعتباطيا على نحو كلي، فهو ليس فارغا: إذ هناك جذر رابطة طبيعية بين الدال والمدلول، فرمز العدالة – الميزان – لا يمكن استبداله اعتباطا بأي رمز آخر – كالعربة مثلا[١]"، حسب رؤية سوسير للرمز فإن هناك علاقة طبيعية – أو على الأقل جذرها – تربط بين الدال أو الرمز، ومدلوله، وأن هذه العلاقة الطبيعية لا يمكن استبدالها بأي شيء أخر.

لا ينعدم الرأي في الرمز بعد سوسير، حيث يوجد من السيميائيين من يختلف مع نظرته، فظهر من يرى ألا علاقة مباشرة بين الرمز والشيء أو المدلول، ومن هؤلاء أوكدن ورتشاردز في مثلثهم الذي اعتبر لاحقا أنه من

(١) علم اللغة العام: فريدنان دي سوسير، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، دار افاق، عربية، بغداد، ١٩٨٥م ص ٨٧.

أهم البدائل الأكثر أهمية[١].

يرى صلاح فضل أن الرمز نموذجه الأول هو الكلمة اللغوية، فعلاقة الرمز توصلنا بين مدلول الكلمة وعلاقته بالعالم الخارجي، مثل دلالة الميزان على العدل وإعطاء كل ذي حق حقه، وأن هذه العلاقة اعتباطية تتم بالصدفة وليست سببية[٢]، وهو في هذا يتفق ونظرة دو سوسير.

٣- الإشارة: مفهوم الإشارة من أكثر المفاهيم التي كان فيها نوعا من الخلط، وتعامل معها اللغويون والنقاد بسطحية نسبية، فنجد إهمالهم للمصطلح الذي هو دال على شيء أو على مدلول، دون إهمال ذلك المدلول أو المفهوم، فاستبدلها النقاد بمفاهيم أخرى، فمثلا أطلق صلاح فضل عليها الرمز، ويورد ذلك صراحة بقوله: ويكفي الآن أن نشير إلى أننا عندما نطلق كلمة الرمز على العلامة اللغوية فإن هذا من قبيل تبسيط الأشياء قبل أن نعمد إلى التصنيفات والتفريعات[٣].

على أي حال فإن الإشارة هي تربط بين الصورة أو الجسم والتسمية، هذا الربط يأتي من علاقة موجودة دماغيا عند الإنسان، مثل إشارة المرور يدل كل لون منها على وضع معين وخاص به، فهذه العلاقة موجودة دماغيا وذهنيا عند المتلقي.

(١) الصورة الشعرية في الخطاب البلاغي والنقدي: الولي محمد، المركز الثقافي العربي، ط ١، بيروت، ١٩٩٠م، ص (١٩١) .

(٢) ينظر: مناهج النقد المعاصر: صلاح فضل، أطلس للنشر والانتاج الإعلامي، ط ٦، القاهرة، ٢٠١٢م، ص (٨٣) .

(٣) نظرية البنائية في النقد الأدبي: صلاح فصل، دار الشروق، الطبعة الأولى، مصر، ١٩٩٨م، ص (٢٩) .

تختص الإشارة بخصائص أو ملامح ثلاثة وضعها النقاد لها، وهي[١]:

أ- ليس لديها مشابهة مع موضوعاتها.

ب - تحيل إلى أفراد.

ت - تلفت الانتباه إلى موضوعاتها.

٤- الأيقونة: عكس الإشارة، فهي تدل على ما تدل عليه في واقعها، فالأيقونة هي الصورة، مثل وضع صورة شخصية ثم معرفة هذه الشخصية بالنظر إلى الصورة التي في هذا الموضع أيقونة، وبذلك فالأيقونة تتميز بأنها مشابهة للواقع الخارجي تماما، أوهي طبق أصل الواقع الخارجي، فالأيقونة لها دوافعها ومبرراتها، أي نستطيع أن نعلل الرابطة بين الدال والمدلول منطقيا أو عقلياً"[٢]، فصورة الكرسي هي أيقونة للكرسي التي تمتاز بالثبات، ولا تقتصر الأيقونات على كونها بصرية، أو كتابية، بل تتعداها وتشمل أيقونات سمعية، وهي الأصوات التي نسمعها وندرك من خلالها أن هذا الصوت هو لشيء ما معين، مثل صوت سيارة الإسعاف عندما نسمعه ندرك فورا دون رؤيتها أن سيارة إسعاف في مكان ما قريب، وهذه القضية أثارها روبرت شولز فقال: "أما صوت كلمة نباح فأيقوني إلى حد ما لنباح كلب، وكل آثار تقليد الأصوات الطبيعية تعتمد الأيقونية السمعية"[٣]

٥- التبادل: يشير مفهوم التبادل إلى ارتباط كلمة ما بكلمات أخرى في اللغة ككل خارج إطار أي قول معين، فالإشارة توجد في شفرتها كجزء من نظام

---

(١) نظام التواصل السيميولساني في كتاب الحيوان للجاحظ حسب نظرية بورس: عايدة حوشي، رسالة دكتوراه، جامعة فرحات عباس سطيف - الجزائر، ٢٠٠٩م، ص (٩٨) .

(٢) سيمياء براغ للمسرح دراسات سيميائية: عدد من المؤلفين، ترجمة: أدمير كورية، منشورات وزارة الثقافة السورية دمشق، ١٩٧٧م، ص (٥) .

(٣) السيمياء والتأويل: روبرت شولز، ترجمة سعيد الغانمي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، ١٩٩٤م، ص (٢٤٢) .

علاقات تربطها بإشارات أخرى من خلال التشابه والاختلاف، وهذا النظام يسمى قائمة تبادلية، وقد نشأ عن هذا المفهوم مفهوم آخر وهو **التتابع** الذي يشير إلى علاقة الكلمة بالكلمات الأخرى في داخل الفعل الكلامي أو قول معين، والمعنى هو حصيلة الوظيفتين التبادلية والتتابعية معا(١).

٦- الشفرة: والشفرة هي المعنى المستخلص من حدث ما؛ لأننا نمتلك نظاما فكريا – أو شفرة – تمكننا من القيام بذلك، فالبرق كان يفهم قديما على أنه علامة كان يصدرها كائن متسلط يعيش في الجبال أو في السماء، أما الآن فنفهمه على أنه ظاهرة كهربائية، فقد حلت شفرة علمية محل شفرة أسطورية، واللغات الإنسانية هي أكثر الوسائل المعروفة تطويرا للتشفير، ولا تنحصر الشفرات في الشفرات اللغوية، وإنما توجد شفرات غير لغوية وهي إما أنها تحت لغوية مثل تعابير الوجه، أو فوق لغوية مثل التقاليد الأدبية(٢).

٧- التناص: كما أن الإشارات تشير إلى إشارات أخرى وليس إلى الأشياء مباشرة، فإن النصوص كذلك تشير إلى نصوص أخرى(٣)، وهذا ما يعرف بالتناص، وهذا يعني عدم انغلاق النص على نفسه وانفتاحه على غيره من النصوص، ولا يختلف تناص السيميائية عن التناص المعروف بلاغيا.

(١) ينظر: السيمياء والتأويل ص (٢٤٢ – ٢٤٣).

(٢) ينظر: مناهج النقد المعاصر ص (٨٦) .

(٣) المرجع السابق ص (٢٤٤) .

المبحث الثاني

الألوان

المطلب الأول: اللون تعريف ودلالة

تحيط الألوان بالإنسان وحياته في كافة جوانبها، ويحس فيها وتؤثر عليه، فالألوان جزء من حياتنا، وتشكل عنصرا من أهم عناصر الجمال الكوني، هذا الجمال الزاخر بالألوان التي تشكل مجتمعة صورة بل صورا تجذبنا إليها، لتشكل في أذهاننا ومخيلاتنا انطباعات تبقى متصلة بهذا اللون أو ذاك، مختلفة في الوقت ذاته من شخص إلى آخر، فتشمل الألوان كل فضاءات حياته شاملة المأكل والمشرب والملبس والأدوات وغيرها لتشكل جزءا لا يستغنى عنه، بل لا تتم الحياة الصحية إلا به، فكان اللون وتغيراته وتصنيفاته رحمة من رحمات الله عز وجل بالناس، حيث اللون مبعث للحيوية والراحة والنشاط والاطمئنان، ورمز لمشاعرنا من حزن وسرور.

تعريف اللون لغة واصطلاحاً

اللون لغة:

اللون: هيئة كالسواد والحمرة، ولوّنته فتلون، ولون كل شيء ما فصل بينه وبين غيره، والجمع ألوان، وقد تلون ولون ولونه، والألوان: الضروب[١]، ويشير ابن فارس أن هذا اللفظ يبدأ باللام التي تدل على دخول شيء في شيء آخر، مما يشير إلى تركيب اللون من عناصر عديدة في صورة واحدة يظهر منها العنصر الذي يسود بنسبة أعلى من غيره في هذا التركيب المتداخل[٢].

(١) لسان العرب: ابن منظور، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مادة (لون).

(٢) اللون ودلالته في شعر البحتري: نصرة محمد محمود شحادة، رسالة ماجستير، جامعة الخليل، فلسطين، ٢٠١٣م، ص ١، وقد بحث الباحث في مقاييس اللغة عن فصل اللام والنون وما يثلثهما، ولم يعثر على هذا الفصل في أكثر من طبعة.

اللون اصطلاحاً:

اللون اصطلاحا في تعريف الموسوعات الحديثة: هو "نتيجة إحساس العين بالموجات المختلفة، فحينما ينعكس الضوء على جسم ما فإنه يمتص بعض موجات هذا الضوء ويرد البعض الآخر، وهذا الجزء المردود يؤثر في خلايا العين فتحس باللون وتدركه"(١)، فاللون ليس له أي، حقيقة إلا بارتباطه بأعيننا التي تسمح بحسه وإدراكه، بشرط وجود الضوء(٢).

أما عن اللون في العمل الفني فيمكن إدراكه باعتباره لونا، ولا يمكن الفصل بين ما نراه كشكل وبين ما نراه كلون لأن اللون هو تفاعل يحدث بين شكل من الأشكال وبين الأشعة الضوئية الساقطة عليه، والتي نرى الشكل وما اللون إلا المظهر الخارجي للشكل، ومع ذلك فإن للون دورا هاما يلعبه في الفن، لأن له تأثيرا مباشرا على حواسنا(٣).

اللون فيزيائياً:

الإحساس باللون عند الإنسان هو إحساس فيزيائي كما يراه الفيزيائيون؛ وقد عرفوه حسب رؤيتهم: "إنه إحساس وليس له أي وجود خارج الجهاز العصبي للكائنات الحية"(٤)، وبذا فإن اللون – فيزيائياً – تأثير فسيولوجي على العين وأجزائها، فمن خلالها تُرى الألوان، ومن دونها لا قيمة لها، فالكفيف لا يعتبر الألوان ولا أهميتها، ويقول الفيزيائيون ثلاث دلالات يمكن من خلالها تحديد

(١) الرسم واللون: محيي الدين طالو، طبعة الشام، ط،٧، دمشق، ١٩٩٣م، ص (١٦٣) .

(٢) مبادئ التصميم اللون: عدلي محمد عبد الهادي مكتبة المجتمع العربي، ط ١، عمان – الأردن، ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٦م، ص (١٣) .

(٣) فلسفة الألوان: إياد محمد الصقر، الأهلية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، ٢٠١٠، ص (٣٧) .

(٤) توظيف اللون في شعر ابن الرومي: نارمين محب عبد الحميد حسن، رسالة دكتوراه، جامعة الزقازيق، مصر، ص (١٤) .

اللون، وهي[١]:

١- **طوسل الموجة:** التي تؤلف الضوء (ضوء الشمس مثلا) يمكن أن تشتت بالاستعانة بمنشور ثلاثي، وبذلك نحصل على ألوان الطيف.

٢- **عامل النقاء:** أي النسبة بين اللون وكمية البياض الموجود به.

٣- **عامل النصوع:** هو كمية الضوء المنقولة أو المنعكسة من اللون، وهذا يعطينا إمكانية عدد كبير من الألوان ومشتقاتها ودرجاتها، كل حسب طول موجته، وهذا عبر جهاز شديد الحساسية، وهذا الجهاز هو العين، وهو جهاز طبيعي وهبة من الله، الذي في الظروف الطبيعية للحياة يسجل لنا هذه الألوان ويجعلنا ندركها، وقد رأى كثير من المشتغلين باللون أن الطيف سبعة ألوان أساسية (البنفسجي، النيلي، الأزرق، الأخضر الأصفر، البرتقالي، الأحمر).

ويضع أحمد مختار شروطاً لابد توافرها للإحساس بالألوان، فالإحساس بها لا يأتي جزافا ويقسمها إلى عوامل داخلية تعود على الإنسان وعوامل خارجية لا دخل للإنسان بها، فيقول "وللإحساس بالألوان شروط لابد من تحققها، بعضها يعود إلى عوامل داخلية في جسم الإنسان وتركيب أجهزة الإحساس فيه، وبعضها يعود إلى عوامل خارجية منها مقدار الضوء الواصل إلى العين، وطول موجته، وزاويته، ولونه"[٢].

(١) المرجع السابق ص (١٤) .

(٢) اللغة واللون: أحمد مختار عمر، عالم الكتب للنشر والتوزيع، ط ٢، القاهرة، ١٩٩٧م، ص (٩١) .

المطلب الثاني: تصنيف الألوان:

تتصنف الألوان إلى مجموعات عديدة تضم كل مجموعة منها عددا من الألوان، ولم يكن هذا التصنيف عبثا، وإنما كان وفق اعتبارات معينة بالألوان وحالاتها وخصائص كل لون، وأحيانا نجد أن اللون الواحد يتكرر في أكثر من مجموعة تبعا لنوع التصنيف واعتباراته، ومن أبرز تصنيفات الألوان وأشهرها:

التصنيف الأول: تقسيم الألوان تبعا للتكوين، وفيه ثلاث مجموعات:

المجموعة الأولى: الألوان الأساسية

وتضم هذه المجموعة ثلاثة ألوان وهي الأحمر والأصفر والأزرق، وسميت بالأساسية لأنها تمثل الإحساس الذي يتكون منه جميع الألوان الأخرى، فعن طريق المزج بينها يمكن الحصول على ألوان أخرى(١)، وهذا المزج يكون بقدر معلوم وبنسب واضحة حتى يحسن إخراج اللون الجديد. وهنا يجب التفريق بين مفهومين، الأول: الألوان الأساسية والآخر: الألفاظ الأساسية للألوان، فالألوان الأساسية هي ما تم بيانه، أما الألفاظ الأساسية للألوان تضم قائمة طويلة نسبيا من الألوان، وهي: الأبيض والأسود والأحمر والأخضر والأصفر والأزرق والبني والأرجواني والوردي والبرتقالي والرمادي، ونلاحظ أن القائمة خالية من البنفسجي(٢)، والملاحظ أن هذه الألوان لا يمكن إيجادها بأي طريقة كانت، وإنما توجد طبيعيا لا دخل بشري فيها، فلا يمكن إنتاج هذه الألوان بالطرق الصناعية وإخراجها كما تكون في الطبيعة.

المجموعة الثانية: الألوان الثانوية:

وهي ألوان مكملة للألوان الأساسية، وهذه الألوان المكملة هي الأخضر والبرتقالي والبنفسجي، فالأخضر يكمل الأحمر، والبرتقالي للأزرق، والبنفسجي

(١) فلسفة الألوان ص (٦٤) .

(٢) اللغة واللون ص (٣٥) .

مكمل الأصفر[١]، وهذه الألوان ناتجة عن مزج بين الألوان الأساسية، فالبرتقالي ناتج عن اختلاط الأصفر والأحمر، والأخضر عن الأزرق والأصفر، والبنفسجي نتيجة مزج الأحمر والأزرق.

المجموعة الثالثة: الألوان المحايدة

والألوان المحايدة هما اللونان الأسود والأبيض وما بينهما من تدرج، وتشمل الرمادي بكل درجاته المختلفة، وألوان هذه المجموعة تدخل على أي لون من الألوان الأساسية والثانوية فتغير درجة شدته، فالأسود يعطي درجات قاتمة، أما الأبيض فيعطي درجات فاتحة، وكلا اللونين يكون مع الألوان المختلفة جميعا[٢].

التصنيف الثاني: تقسيم الألوان تبعا لتأثيرها الحراري، وفيه أيضا ثلاث مجموعات:

المجموعة الأولى: الألوان الحارة:

أو الألوان الدافئة وهي الأحمر والبرتقالي والأصفر، ووصفت بذلك لقربها من مصادر الحرارة في الطبيعة، مثل النار والشمس والدم، فتعطي الحرارة والدفء والضوء[٣].

المجموعة الثانية: الألوان الباردة:

وتضم الأزرق والبنفسجي والأخضر، ووصفت بالباردة بسبب قربها من مصادر البرودة في الطبيعة، مثل السماء والماء والثلج[٤]، فمنهم نستمد الشعور بالبرودة إلى أجسامنا.

(١) مبادئ التصميم واللون ص (٢٢) .
(٢) المرجع السابق ص (٢٤) .
(٣) فلسفة الألوان ص (٦٨) .
(٤) مبادئ التصميم واللون ص (٢٦) .

المجموعة الثالثة: الألوان المعتدلة:

وفيها الأبيض والأسود والرمادي والبني والأخضر، ووصفت بالمعتدلة لأنها لا تأثير لها في النفس من حيث البرودة والدفء، وتتصف هذه المجموعة بالتناقض الشديد لأن لكل لون منها تأثيره الخاص في النفس البشرية يختلف عن اللون الآخر في ذات المجموعة(١).

لا تنحصر تصنيفات الألوان ومجموعاتها في هذين التصنيفين بمجموعاتهما، وإنما هناك المزيد من التصنيفات الكثيرة التي تحمل مجموعات أكثر، غير أن الألوان المذكورة سابقا هي

أبرزها وأشهرها.

المطلب الثالث: اللون وتأثيره على الإنسان:

تمثل العلاقة بين اللون والإنسان علاقة قديمة جديدة، فاكتسبت على مر الأزمان دلالات تميزية في حيوات الشعوب، سُجلت في القواميس الأبدية لتظل الأجيال تتعاقبها دون الاقتراب منها تغييرا أو تبديلا، فتتنوع الألفاظ الخالدة المقترنة بالألوان، بعضها ما يقترن بالأماكن وبعضها وصفية، فأما المتعلقة بالأماكن فمثل قولهم قديما عن قصر كسرى القصر الأبيض، ومنطقة حمراء الأسد إلى الجنوب من المدينة المنورة التي كانت مسرحا لغزوة بين المسلمين وكفار قريش في شوال من السنة الثالثة للهجرة، وأيضا أفريقيا القارة السوداء، واقترنت بالبحار فمنها: الأبيض والأحمر والأسود والأصفر، واقترنت بالعمارة؛ ففي الأندلس قصر الحمراء، وأيضا البيت الأبيض الأمريكي، ومن المدن الدار البيضاء في المغرب، ومدينة البيضاء في اليمن، ومحافظة الرمادي في العراق وتعرف تونس بتونس الخضراء، وهناك من الشخصيات زرقاء اليمامة المعروفة بقوة بصرها.

(١) ابداعات لونية وتأثيراتها النفسية: نزار كمال المحلاوي، ص (٤٢) .

وأما ما يستخدم للدلالة على الوصفية فيقال فلان قلبه أبيض وآخر قلبه أسود، ولكل منهما دلالته الخاصة، وعن شخص يحمل أفكارا سوداء، وذاك يبتسم ابتسامة صفراء. تعدى ذلك إلى أشياء أخرى منها ما يلامس حياتنا العادية اليومية، فيوجد الذهب الأسود، والانقلاب الأبيض والانقلاب الأحمر، وإشارة المرور بألوانها الثلاثة، وجواز السفر الأخضر، وجواز السفر الأحمر وهم العاملون في السلك الديبلوماسي، وجواز السفر الأزرق وهم العاملون في المنظمة الدولية منظمة الأمم المتحدة، وفي فصل الشتاء عندما نرى السحب الرمادية الداكنة نستطيع بمجرد رؤيتها تمييزها أنها سحب تحمل أمطارا، وعندما نسمع بالكتاب الأخضر نتذكر القذافي ودستوره، وفي الجيوش تختص كل فرقة وكل سلاح بلون خاص، والكتب الصفراء هي الكتب القديمة وتختص كل دولة بعلم يميزه في الأغلب الأعم ألوانه المكونة له.

تأثير اللون على الإنسان:

تعالج الألوان الكثير من المشكلات الشخصية النفسية منها والعضوية بمعرفة كل لون حيث يعتمد على تزويد الجسم الذي يعاني من خلل ما بجرعة من اللون الذي ينتقصه، إن تحقيق التوازن يعمل على الجانب العضوي في ضبط ترددات الخلايا الخارجة عن نظام العمل، كما يعمل على الجانب النفسي أو الشعوري بتغيير الموقف السلبي إلى إيجابي، وتغيير المشاعر السلبية إلى إيجابية[١]، فهي تعطي الشعور بالفرح والسعادة أو الحزن والكآبة.

والألوان كذلك تدخل في اللباس لأن تأثيرها على الجانب الجمالي تأثير كبير فلولا وجودها لما احتجنا إلى شراء الملابس وتغييرها أو تنويعها، فتعمل الألوان على مستوى اللاوعي، فالألوان الباردة تفقد الإنسان حيويته في التحرك[٢]،

(١) العلاج بالألوان: أيمن الحسيني، مكتبة ابن سينا للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٥م، ص (١١) .

(٢) فلسفة الألوان ص (٢٨) .

فيما تختلف طريقة اللباس حسب المناسبة، فالرسمية منها لها ألوانها وغير الرسمية هي الأخرى لها ألوانها، فهي تعبر عن أمزجة أصحابها وكيفية حالاتهم ومشاعرهم الداخلية.

المطلب الرابع: الألوان في الموروث العربي

لم يكن استخدام الألوان في موروثنا العربي آنيا أو وليد لحظة أو محصورا بفترة من الفترات، وكذلك لم يظهر في العصور المتأخرة، وإنما نرى للون قيمة في نصوص تراثنا العربي بكافة مراحله ومستوياته وأنواعه، وقد بدأت حكاية اللون مع الشعر العربي؛ حين أخذ الجاهلي يترصد الظواهر الكونية ويتابع مجرياتها، مستشعرا دور اللون في تمييز الأشياء بعضها عن بعض، فاستخدمه في تشبيهاته واستعاراته البلاغية[١] ؛ فنجد الألوان حاضرة بقوة في الشعر الجاهلي وما بعده ليغرف من دلالات هذه الألوان ورموزها وإيحاءاتها لتصل الصورة الكاملة وليعبر المبدع عما في خلجات نفسه وما بين أضلعه، ولم يخل القرآن الكريم من ذكر ألوان بعينها، وكانت السنة النبوية كذلك حافلة بذكر ألوان معينة الذي من شأنه أن يقرب فهم الدين للصحابة ومن يلونهم، فارتبط اللون بالتراث العربي شعرا ونثرا، ومن الألوان المشهورة التي شاعت في التراث العربي ما يأتي:

أولاً: الأبيض: والبداية دائما من القرآن، وهو الأكثر ذكرا من بين الألوان في القرآن الكريم، فقد ذُكر فيه اثنتي عشرة مرة في اثنتي عشرة آية، تتشابه دلالاتها في بعض الآيات وتختلف في بعضها الآخر، معتمدة في ذلك على السياقات الدلالية القرآنية التي تحملها، إلا أنها تتفق في أغلبها على معنى الطهارة والنقاء والصفاء، غير أن للأبيض معان تختلف من آية إلى أخرى، فقد

(١) شعرية الألوان في الشاعر الجزائري المعاصر فترة (١٩٨٨ – ٢٠٠٧م): صديقة معمر ،رسالة ماجستير، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م، ص (٥٩) .

فصل اللون الأبيض بين دخول وقت الفجر وهو وقت الصيام ووقت الإفطار عند الحديث عن آيات الصيام في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ۖ﴾ [سورة البقرة: ١٨٧] فمثّل اللون الأبيض بداية الانقياد والعبودية لله في ترك الحلال المباح بما أمر الله تبارك وتعالى، فكأن اللون الأبيض في الآية الكريمة يمثل بداية السلوك السوي والطاعة الكاملة لله عند الإنسان.

كان للون الأبيض أهمية قصوى يوم القيامة للدلالة على الثلة الناجية المؤمنة والذين كان سلوكهم الدنيوي طاعة الله واتباعا لأوامره، فقال الله عنهم: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧] البياض المقصود هنا دلالة على السعادة التي نالوها ورضوان الله الذي حازوا عليه.

تكرر ذكر اللون الأبيض خصوصا عند الحديث عن معجزة نبي الله موسى عليه السلام ومن هذه الآيات قوله تعالى: ﴿وَنَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الشعراء: ٣٣] وكان اللون الأبيض هو المعجزة بأن تحولت اليد إلى منبع بياض ونور فيه من الجمال ما فيه، ليثبت لبني إسرائيل صدق دعوته ويهديهم إلى صراط الله العزيز الحكيم.

ومما يدل عليه الأبيض المرض العضوي الذي يصيب العين حيث يحل بياض العين محل سوادها مبينا أن الحزن يسبب ذلك المرض كما ورد قول الله تعالى: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٨٤].

يبين الله عز وجل أن للأبيض سرا من أسرار نعيم الجنة، وله جماله وبريقه الخاص الذي يضفي صبغته الخاصة على آلاء الله الأخروية فيزيد المؤمنين نعيما إلى نعيمهم، فقال تعالى: ﴿بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ [الصافات: ٤٦] وقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٩]، وهذا جزاء من ابيضت وجوههم

في البداية، ومن كانت نفوسهم وأرواحهم وعقولهم بيضاء نقية، يكون الأبيض مرافقا لهم في الآخرة.

من الاستخدام القرآني يتضح أن اللون الأبيض مستخدم للدلالة على الأشياء المبهجة المحببة للنفس، مما يعني إيحائية اللون الأبيض التي تبعث في النفس السرور والطمأنينة والراحة الدنيوية وحتى الأخروية.

أما قبل الإسلام، اعتبر الجاهليون أن اللون الأبيض رمز لجمال المرأة وطهرها وعفتها، وكان خير من يمثل هذا الرأي في قصائد الجاهليين امرأ القيس في معلقته، فقال(١):

مُهَفْهَفَةً بَيضاء غيرُ مُفاضَةٍ * ترائبُها مَصْقولَةٌ كالسَّجَنْجَلِ**

يصف امرؤ القيس جمال المرأة وهي اللطيفة الجميلة العظيمة، فيصبغها بالبياض لكي تكون صورتها كاملة يعطيها صفة التلألؤ كتلألؤ المرآة ناصعة في بياضها محببة للنفوس تستحق ما يقال في حقها من غزل ومدح في جمالها الفاتن .

اختلفت دلالة الأبيض بالانتقال إلى عصر صدر الإسلام، هذا حسان بن ثابت يربط البياض بكرامة الأحساب والأنساب والأخلاق، فقال(٢):

بيض الوجوه كريمة أحسابهم * شمّ الأنف من الطراز الأول**

لم يعد البياض مربوط بجمال المرأة، وإنما الأبيض هو أبيض الأخلاق والنسب، وهذا ما سار عليه الأمويون.

لم تختلف الدلالة كثيرا في العصر العباسي، فقد ورد أن إبراهيم بن المهدي

---

(١) شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها: أحمد الأمين الشنقيطي، تحقيق: محمد الفاضلي، المكتبة العصرية، ط ١، بيروت، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م، ص (٣٠) .

(٢) ديوان حسان بن ثابت، تحقيق: عبد أ. علي مهنا، دار العلمية، ط ٢، بيروت، ١٩١٤هـ – ١٩٩٤م، ص (١٨٤) .

دخل على المأمون فقال إنك لنعم الخليفة الأسود، فتمثل المأمون ببيت نصيب فقال[1]:

إن كنت عبدًا فنفسي حرة كرما * أو أسود اللون إني أبيض الخلق**

يقصد المأمون أن البياض ليس بياض الشكل وإنما هو بياض السريرة الداخلية وصفاء القلب، فالأبيض هو من كانت أخلاقه دمثة راقية، وملاحظ أن ربط البياض بكرامة الأحساب والأنساب غير موجودة في العصر العباسي، فلو كان ذاك موجودا فلا يوجد أكثر حسبا ونسبا من خليفة المسلمين، وبذا يكون الأبيض قد اقتصر على من أخلاقه رفيعة يعامل الناس بحسن ولديه طيب في المعاملة.

ثانيًا: اللون الأسود: جاء الاستخدام القرآني للون الأسود ثماني مرات في سبع آيات، وكانت معانيها المختلفة في أغلبها تتجه لتناقض معاني اللون الأبيض، ففي آية سورة البقرة التي ذكرت آنفا يمثل اللون الأسود ظلمة الليل، والأسود في هذه الآية يمثل الشق الآخر من طاعة الله والعبودية له، فكما التزم الإنسان في البداية بالخيط الأبيض ومنع نفسه عن المباح، فإنه هنا ومع الخيط الأسود الذي هو بداية الليل يعود لما منع عنه نفسه في امتثال كامل لأوامر الله تبارك وتعالى.

وبالعودة إلى يوم القيامة كذلك فإن اللون الأسود يبين أحوال الكافرين فلهم العذاب الشديد بما كفروا، يقول الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦] فكان الجزاء من جنس عملهم في الدنيا.

لما كان الجاهليون يتمنون الذكور دون الإناث، رمز الأسود للحزن والكآبة والغم

(١) فقه اللغة: أبو منصور الثعالبي، تحقيق: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، ط ٢، بيروت، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ص (٤٣٨) .

والهم، فإذا لم يكن ذلك حزنوا حزنا شديدا، فقال الله: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِٱلْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ [النحل: ٥٨] وذلك كراهية لما سمع وامتلاء قلبه غيظا.

وورد الأسود بغير لفظه في قوله تعالى: ﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾[الأعلى: ٥] وفيه رمز للهلاك بعد اخضرار وجمال، فيكون الأسود رمزا للحسرة على ما فات.

بالانتقال إلى العصر الجاهلي فإن الجاهليين كان يشمئزون ويتطيرون من اللون الأسود ويبغضونه، حتى أن الرجل الأسود عندهم مضطهد مكروه لا قيمة له ولا وزن ليس لسبب إلا لأنه أسود، ولا أدل على ذلك أكثر من عنترة بن شداد حيث كان سواده مصدر إزعاج له، بل شكلت له عقدة واضحة وبارزة لطالما كان يذكرها في شعره، ومن أمثلة ذلك قوله[١]:

سَوادي بياضٌ حين تبْدُو شَمائلي * وفعلي على الأنسابِ يزهو ويفخرُ**

يحاول عنترة تعويض هذا العيب الذي يشعر به وهو سواد، بشرته بما يفعله من مفاخر ومآثر في الحروب، فيبرز قوته وشدته وصرامته على الأعداء دفاعا عن القبيلة محاولا أن يلفت الأنظار من سواد لونه إلى بياض أفعاله، فلعل قتاله يشفع له عند قبيلته، فكان اللون الأسود عندهم محط ذل وانكسار واحتقار.

عمل الإسلام على إلغاء القيم السائدة في المجتمع الجاهلي ومن بينها النظرة الجاهلية للون الأسود، خصوصا أن بعض الصحابة لم ينج من الحديث بهذه النظرة، ومثالها أن أبا ذر عير بلال بن رباح قائلا: له يا ابن السوداء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر «إنك امرؤ فيك جاهلية»[٢]، ذلك لم يمنع أن نظرة التشاؤم والموت المرتبطة بالأسود ظلت موجودة ولكن بحدة أقل وأخف في

(١) شرح ديوان عنترة، الخطيب التبريزي، تحقيق: مجيد، طراد، دار الكتاب العربي، ط ١، بيروت، ١٤١٢هـ – ١٩٩٢م، ص (٧٩) .

(٢) صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة – بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ، (١٥/١).

صدر الإسلام.

ظلت دلالة الموت التي يوحي بها اللون الأسود باقية دون تغيير على الرغم من تقدم الزمن وانتقال دولة الخلافة إلى دمشق، فكان اللون الأسود على ارتباط وثيق بالموت، وفي ذلك يقول الأخطل(١):

وبَيتِ صَفاة في لهابٍ، لُعابهُ * سمامُ المنايا، أسودِ اللونِ حالكِ**

أما عند الحديث عن العصر العباسي فربما تكون الدلالة تغيرت قليلا، فصار الأسود يرمز إلى صاحب السلوك السيئ، فاستخدم للهجاء والذم، عندما هجا المتنبي كافور الاخشيدي بقصيدة يقول فيها(٢).

من علَّم الأسودَ المخصي مَكْرُمَةً * أقومُهُ البيضُ أَمْ آباؤه الصيدُ**

لا يعير المتنبي كافور الاخشيدي بسواده حيث كان كافور أسود اللون، وإنما ينسب سواد لونه إلى سفاهة أفعاله، وتعامله السيئ مع الناس، فيقول أن السلوك السيئ انعكس على بدنه فصار لونه أسود نتيجة أفعاله.

ثالثًا: اللون الأخضر: ورد في القرآن ثماني مرات، وجاءت جل الآيات في حديثها عن النبات وخضرته، فقال الله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾[الحج: ٦٣] وفيها يوجه الخالق تبارك وتعالى إلى وحدانيته بشيء منظور بين يدي الناس، وفيه رحمة من رحماته بالناس، ليخرجهم من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، ففيه استحضار ورمزية للخير والخصب والتجدد.

وجاء اللون الأخضر في السياق القرآني ليبرز شيئا مما ينعم به أهل

(١) ديوان الأخطل: تحقيق: مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، ١٩٩٤م، ص (٢١٩) .

(٢) أبو الطيب المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس: عاصم الجندي، دار المسيرة، ط١، بيروت، ١٩٩٣م، ص (٩٣) .

الجنة، فبين أنه لون لباسهم وفرشهم قال الله: ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾[الإنسان: ٢١]، فكان اللون الأخضر مصدر سعادتهم في الآخرة، وهو بذلك يبعث الراحة والشعور بالرضى، ورمز للخلود الأخروي الأبدي في الجنة.

جاهليا كان اللون الأخضر يرمز للنماء والخصب والنعيم، يقول زهير بن أبي سلمي واصفا حماره الذي دبت في بعض جسده الخضرة[١]

ثَــلاثٌ كــأقْواسِ السَّــراءِ ومِسْــحَلٌ * قَدِ اخضرَّ من لَسّ الغَميرِ جحافِلُهْ**

يقول بالخصب والنماء الذي انتقل إلى حماره وتجسد فيه، فيكون دلالة على النعيم والنماء.

يصور عمر بن أبي ربيعة في قصيدة يتغزل فيها بمحبوبته يصور حالها مع الترف والعيش الرغيد، فيقول[٢]:

وَأَعْجَبَهَا مِنْ عَيشِهَا ظِلُّ غُرْفَةٍ * وَرَيــانُ مُلْتَــفُ الحــدَائِقِ أَخْضَــرُ**

فهو يبدع في تصوير ترفها، فكل شيء متوفر لها بين يديها لا تعب ولا كدر ولا هم عليها، تعيش في ظل الحدائق الخضراء حولها، وهو دليل على النضرة والسخاء والرخاء التي تنعم بها محبوبته.

ازداد في العصر العباسي انفتاح اللون الأخضر على المعاني الجديدة، وازدادت دلالته الموحية بالترف والنعيم والنماء والتجدد يقول ابن عبدربه وهو من العصر الأندلسي الموازي للعصر العباسي[٣]:

---

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، ط ١، بيروت، ١٩٨٨م، ص (٨٩) .

(٢) ديوان عمر بن أبي ربيعة، تحقيق: فايد محمد، دار الكتاب العربي، ط ٢، بيروت، ١٩٩٦م، ص (١٢٥) .

(٣) ديوان ابن عبدربه، تحقيق: محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، ط ١، بيروت، ١٩٧٩م، ص (٢١).

ألا إنَّمـا الـدُّنيا نَضَـارةُ أَيكـةٍ * إذا اخْضَـرَّ مِنْهَـا جَانِـبٌ جَـفَّ جَانـب**

فهو لا ينسب الخضرة للنبات والشجر والحيوان كما كان سابقا، بل تعداه إلـى جعـل الحيـاة المترفـة الهانئـة السـعيدة التـي لا كـدر فيهـا ولا غـم رمـز لهـا بالأخضر، نسبة إلى إحياء الأرض كما ورد في المعنى القرآني، فاللون الأخضر توسعت دلالته في ذات الاتجاه الذي كان عليه وهو دليل التجدد والحيوية والراحة والدعة والاطمئنان.

رابعًا: اللون الأصفر: وهو أول الألوان ذكرا في القرآن الكريم، وقد ذكر فيه خمس مرات، ومن أبرز معانيها القرآنية إدخال السرور في نفوس الناظرين، وذلك كما جاء في قصة بقرة بني إسرائيل، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿قَالُواْ ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوۡنُهَاۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٞ صَفۡرَآءُ فَاقِعٞ لَّوۡنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ﴾[البقرة: ٦٩] جاء ذلك أثناء جدال بني إسرائيل لموسى عليه السلام، فأريد لهم السرور فكان من خلال اللون الأصفر، وللأصفر معنى يناقض المعنى الأول ولكن هذا المعنى مرتبط بشيئين وهما عند رؤية الريح أصفر ورؤية النبات مصفر، الأولى تدب الخوف والرعب، والثانية عند رؤية الزرع هشيما متكسرا تزرع الحزن والأسى، قال الله: ﴿وَلَئِنۡ أَرۡسَلۡنَا رِيحٗا فَرَأَوۡهُ مُصۡفَرّٗا لَّظَلُّواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ يَكۡفُرُونَ﴾ [الروم: ٥١].

ويأتي اللون الأصفر في الشعر الجاهلي للدلالة على الصفاء والوضوح المنسوب للماء،

فيقول لبيد بن ربيعة العامري(١):

سُـــدُماً قـــديمًا عهْـــدُهُ بأنيسِـــهِ * مـــن بـــينِ أصـــفرَ ناصـــعٍ ودِفَـــانِ**

يتوافق معنى الأصفر الذي أورده لبيد بن ربيعة في ذلك مع المعنى القرآني

(١) شرح ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق: إحسان عباس، التراث العربي الصادرة عن وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٩٦٢م، ص (١٤١) .

الذي ورد في سورة البقرة وهو السرور والصفو والراحة.

لم تختلف دلالة الأصفر عند الأمويين كثيرا، فكان رمزا لشدة الجمال والصفاء والنقاء، ولكنهم زادوا في رمزيته عمن قبلهم، فاستخدموه للغزل، يقول عمر بن أبي ربيعة[١]:

هجانُ البياضِ أشربتْ لونَ صفرةٍ * عقيلةُ جوّ عازبٍ، لم يحللِ**

فهو يمزج اللون الأصفر بالبياض دلالة على حالة العشق الهامي الذي يمر بها ابن أبي ربيعة، فيرسم حالة الوجد التي يعاني منها، ولعل نفس المعنى نجده عند المتنبي في قوله[٢]:

قالَتْ وقَد رَأتِ اصْفِراري من بهِ * وَتَنَهْدَتْ فأجَبْتُها المُتَنَهِّدُ**

فمَضَتْ وقد صَبَغَ الحَياءُ بَياضَها * لَوْني كَما صَبَغَ اللُّجَينَ العَسجَدُ**

حالة المتنبي مطابقة لحالة عمر بن أبي ربيعة، فذكر اللون الأصفر ليبرز درجة الهيام التي حلت به، ويلبس محبوبته لباس الأصفر ليستر محاسنها وجمالها ومفاتنها وإن كانت هناك معان أخرى له فهي لم تخرج عن المعاني القرآنية.

خامسًا: اللون الأحمر: اللون الأحمر لم يذكر في القرآن الكريم سوى مرة واحدة في موضعها الوحيد، وكان المعنى الملازم للأحمر يرتبط بلون بعض الثمرات عند نضجها، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧]، وارتباط اللون الأحمر في القرآن يوحي بالعظمة والشموخ، وارتباط

(١) ديوان عمر ابن أبي ربيعة (٤٣٢) .

(٢) ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٣م، ص (٤٧) .

اللون الأحمر بنضج الثمرات يبعث في النفس السرور والانشراح والإقبال على الحياة والتمتع بملذاتها، وهو بذلك مرتبط بالطبيعة الحية التي تحيط بالإنسان من كافة جوانبه، ونلاحظ أن اللون الأحمر في الآية جاء ضمن مجموعة من الألوان الأخرى التي توحي نفس الدلالة؛ ليشكل الأحمر جزءا من الصورة الكاملة التي تعطيها تلك الألوان.

نقل الجاهليون اللون الأحمر للطبيعة والتعبير عنها، فهذا امرؤ القيس يصبغ الجبال بالصبغة الحمراء، فيقول عنها[١]:

كَلَّلَـــــهَ حمـــــراءَ ذاتَ أســـــرةٍ * لهـــا حُبُـــك كأنَّهـــا مِـــنْ وَصَـــائِلِ**

فيرسم الشاعر لوحة للجبال يلبسها باللباس الأحمر، ناقلا إياه للطبيعة لتبهج النفس وتريح العقل وتشرح الصدر، منافيا المعنى أو الرمزية المرتبطة بالأحمر التي توحي إليها الدماء.

لم يدم كثيرا ارتباط الأحمر بالمعاني السابقة وإنما تحولت دلالته فيما بعد إلى الموت، فكان الأحمر مرتبطا بالموت والحروب، يقول الأخطل[٢]:

أضـــماً وهـــز لهـــن رمحـــي رأســـهِ * إذ قـــد أتـــيحَ لهـــن مـــوتٌ أحمـــرُ**

أراد التعبير عن شدة المعارك وكثرة الموت والدماء الكثيرة التي سالت فقرن الموت بالأحمر، حيث نسب الحمرة إلى الموت للتعبير عن بلوغ أقصى درجات العداء والوعيد بالقتل الكثير، وهذا يدل على الشجاعة، فكأن اللون الأحمر يدل على الشجاعة المؤدية إلى إراقة الدماء.

في العصر العباسي لم تتغير رمزية الأحمر المؤدية إلى الموت، غير أنها حملت دلالات جديدة دون أن تخلع عباءة الدلالة السابقة، هذه الدلالات ربما

(١) ديوان امرئ القيس تحقيق عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، ط ٢، بيروت، ٢٠٠٤م، ص (١٤٠).

(٢) ديوان الأخطل، ص (١٦٥) .

تكون منافية لدلالة الموت، يقول أبو تمام متغزلا بمحبوبته[١]:

قد صنف الحسن في خديك جوهره * وفيه قد خلف التفاح أحمره**

يصف أبو تمام خد محبوبته فيلونه بالأحمر تشبها بالتفاح الأحمر في كل صفاته، فيشبهه في لونه وجماله وملاسته وربما طعمه، كل هذه الصفات تعطي الموصوف صبغات وعلامات جمالية لتكون صورة المتغزل به كاملة بالتجاور مع بقية العناصر الجمالية الأخرى مثل العيون والفم وغيرها.

نلاحظ أن دلالة الأحمر المرتبطة بالموت لم تتغير ولم تتبدل، ولكنها أخذت دلالات رمزية أخرى جديدة، غلبت في استخدامها الاستخدام الأصلي.

سادسًا: اللون الأزرق: وهو كذلك ذكر مرة واحدة في القرآن الكريم، في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢]، وجاء إيحاؤه القرآني بالضيق والخوف والرهبة والوجل، وذلك عندما بين الله تبارك وتعالى حال المجرمين الكافرين عند حشرهم يوم القيامة.

هذا المعنى الذي جاء في القرآن الكريم لم يكن مستحدثا مع مجيئ الإسلام، وإنما كان سائدا قبل الإسلام للدلالة على الشدة والخوف والعنف لما كانوا يوصلونها بالمعارك وآلاتها، مثل ما قال امرؤ القيس في بيته الشعري المشهور[٢]:

أَيقتُلُني والمَشرَفِي مُضاجِعي * وَمَسنونَةٌ زُرقٌ كَأَنيابِ أغوالِ**

يظهر الأزرق في جانب الخوف والرعب، فالزرقة هنا الأنياب الغول التي شبه رؤوس الرماح بها، فلم ينسب الزرقة لأنياب حيوان مفترس وإنما نسبها لذلك الكائن الخرافي الذي يدل على الخطر والعنف، ليضع الأزرق في أخطر مكان

(١) ديوان أبو تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام دار المعارف، ط ٣، القاهرة، المجلد الرابع، ص (٢٠٨) .

(٢) ديوان امرئ القيس، ص (١٣٧) .

يمكن أن يوضع فيه من عنفوان وقوة وخوف ورهبة.

بقيت الدلالة كما هي بالانتقال إلى العصور التالية، ففي العصر الأموي نجد جريرا تحدث كما تحدث امرؤ القيس قبله، فجعل الزرقة في الأسنة والرماح، وكأن دلالة اللون لم تتغير قيد أنملة ولم تضف إليها أي دلالات جديدة، يقول جرير[١]:

لقدْ كرهتَ زرقَ الأسنةِ فيكمُ * ضُحىً، سمهرِياتٌ قَليلٌ فَطُورُها**

يظهر هنا في جانبه المادي، فيبدو أن الأزرق يصر على الاحتفاظ بالدلالة نفسها، فلم يغيره تعاقب السنين، وتقلب العصور، واختلاف الناس، وتنوع اللهجات، وتغير الأماكن، فبعد انتقال عاصمة الخلافة إلى بغداد بقي الأزرق كسابق عهده دون الاكتراث إلى اختلاف الأحوال، ابن الرومي مثلا يبين لنا كيف هي دلالة الأزرق في عصره، فيقول[٢]:

إذا نظرت زُرق الرماح إلى الكُلى * كما نظرتْ زرق العيون الشّواخصِ**

فما حَدُّكم عند اللقاء بناكلٍ * ولا خيلكم عن غمرة بنواكصِ**

ويظهر هنا في جانبه المعنوي، فيتكلم عن الأزرق في خضم حديثه عن المعارك والرماح والسيوف، والقوة والبطش والعنف الشديد، ويظهر من خلال الزرقة حد الشجاعة، فالأزرق يمثل قمة الشجاعة، وهذا ما وجدناه منذ العصر الجاهلي مرورا بالعصر الأموي وليس انتهاء بالعصر العباسي، ولعل الأزرق هو من بين الألوان القليلة، بل ربما هو اللون الوحيد الذي لم تتغير دلالته من عصر إلى آخر، فبقى محتفظا بالدلالة نفسها دون تغيير أو تبديل أو إضافة دلالات أخرى.

---

(١) ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تحقيق: نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، ط ٣، القاهرة، المجلد الثاني، ص (٨٨١) .

(٢) ديوان ابن الرومي، شرح: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، ط٣، بيروت، ٢٠٠٢م، ج٢، ص (٢٦١) .

الفصل الثاني

معالجة الألوان في الحديث النبوي

ويتكون من أربعة مباحث:

المبحث الأول: اللون الأحمر.

البحث الثاني: اللون الأصفر.

المبحث الثالث: اللون الأزرق.

المبحث الرابع: اللون الأخضر.

المبحث الأول

اللون الأحمر

١- اللون الأحمر دلاليا:

يعتبر اللون الأحمر من أشد الألوان قساوة وقوة، وهو يضفي على الإنسان الشعور بالدفء والحرارة والحيوية والنشاط كونه مرتبطا بعناصر طبيعية مثل الشمس والنار والدم وغيرها، وجاء في معجم لسان العرب أن الحمرة "من الألوان المتوسطة معروفة، لون الأحمر يكون في الحيوان والثياب وغير ذلك مما يقبله، وحكاه ابن الأعرابي في الماء أيضا ويقال: احمر الشيء احمرارا إذا لزم لونه فلم يتغير من حال إلى حال"(١).

ظهرت تصنيفات عديدة تصنف اللون الأحمر إلى درجات أو أقسام، منها ما ذكره أبو منصور الثعالبي في كتابه فقه اللغة وأسرار العربية في فصل أسماه: "في تقسيم الحمرة ذهب أحمر، فرس أشقر، رجل أقشر، لحم شَرِقٌ، ثوب مدمي، مدامة صهباء"(٢)، والصهباء أو الصهبة كما فسرها الثعالبي في فصل آخر من كتابه هي حمرة تضرب إلى بياض، وأيضا ذكر الدبسة وهو ما بين السواد والحمرة، والشُربة وهو بياض مشرب بحمرة(٣)، ومن التصنيفات أيضا ما ذكره النمري في كتاب الملمع باب الحمرة: أحمر"، قاني، وأحمر غضب، وأحمر عاتك، وأحمر ورد، وأحمر فاقع وفقاعي، وأحمر مدمي، وأحمر باحري وبحراني، وأحمر كَرِكٌ، وأحمر قاتم، وأحمر تلكع(٤)، وتظهر هذه التقسيمات مدى اهتمام القدماء باللون الأحمر، واعتباره من الألوان الرئيسة ولو لم يكن اللون الأحمر

---

(١) لسان العرب مادة (حمر).

(٢) فقه اللغة وأسرار العربية ص (١٢٨) .

(٣) المرجع السابق ص (١٢٨) .

(٤) الملمع الحسين بن علي النمري، ت: وجيهة أحمد السطل، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، ١٩٧٦م، ص (٨٥) .

يشغل حيزا واسعا لما حظي باهتمامهم.

وتتسع دلالة اللون الأحمر فتشمل معان عدة، تختلف دلالته من الرجال عنه في النساء لما أورده ابن منظور في لسان العرب عن الجوهري قول: أهلك النساء الأحمران، وفي قول آخر: أهلك الرجال الأحمران، فالأول يختلف عن الآخر، حيث إن الأحمرين عند النساء هما الذهب والزعفران، وإن الأحمرين عند الرجال هما اللحم والخمر(١)، فبذلك تتسع دلالة اللون الأحمر.

ويمثل اللون الأحمر في الطبيعة الفاصل بين السماء والأرض مرتين يوميا، فهو لون الشفق عند شروق الشمس، ولون الغسق عند غروبها، وهو لون بعض الفواكه مثل التفاح والرمان والكرز وغيرها، ولون الزهور الجميلة المحببة إلى النفوس لما تثيره من إحساس بالبهجة والجمال، ولون النار المشتعلة التي تثير رؤيتها خوفا واضطرابا، ولون الشمس المتوهجة، وهو اللون الأكثر إغراء في الطعام، والأحمر يملك طاقة ذات تأثير قوي على نمو النبات، كما يعجل بنمو بعض الحيوانات(٢)، ومن الأحجار الكريمة الحمراء يوجد الياقوت والمرجان والكهرمان والعقيق، ونبتة الزعفران الأحمر.

يرتبط اللون الأحمر بالدم الذي يعتبر من أبرز دلالاته، هذه الدلالة ترتبط بالحرب والقتل والثورة عادة، ودلالة لون الدم الأحمر ترمز إلى معنى مخالف للمعنى السابق، وهو استمرار الحياة لجريان الدماء في العروق، وأيضا نجد اللون الأحمر حاضرا وبقوة في أعلام غالبية دول العالم وفي ذلك رمز للحرية والدماء، وفى مجال الإنسان أيضا نجد الثياب الحمراء، وقد ذكرت للنساء بل لفئة خاصة من النساء وهنَّ النساء النواعم المدللات أو البغايا، وقد سمين بصاحبات الرايات الحمراء، وذلك لتميز الخيام باللون الأحمر، وهذا يدل أن الحمرة في الثياب لم

(١) ينظر: لسان العرب مادة (حمر).

(٢) اللغة واللون ص (١٥٥ – ١٥٤).

تكن لعامة الناس بل هي دليل رفاه وغنى[١]، وحديثا ارتبط اللون الأحمر بلباس السجون وتحديدا المحكوم عليهم بالإعدام، وكذلك ترتبط كلمة جهنم باللون الأحمر اعتقادا أنها حمراء لاشتعالها.

هذا الاستمرار لم يكن يقتصر على الحياة الدنيا، وإنما كانت تذهب إلى حياة القبور البرزخية، حيث كان الناس – قديما – في فلسطين يذرون التراب الأحمر في المقابر في رمزية عندهم لاستمرارية الحياة للمتوفي بخلوده في النعيم المقيم في العالم الآخر[٢]، وفي هذا يكون اللون الأحمر جامع لمعنيين متناقضين تناقضا ظاهريا، الأول يمثل الموت والآخر يمثل الحياة.

يرتبط اللون الأحمر بالحب والرومانسية، وهو من أكثر الألوان تأثيرا على العواطف، وأكثرها دغدغة للمشاعر وهيجانا للأحاسيس، وفيه يتم فضح العمق العاطفي في الحب المتبادل لما يفضل العاشقون وقت الغروب الأحمر، كما أنهم يفضلون الزهور الحمراء لما لها من قدرة على التعبير عما في قلوبهم واختصار ما تقوله ألسنتهم من حب وهيام وعشق، لذا ارتبط اللون الأحمر منذ الأزل بكل ما يشكل كيانا أنثويا مغريا، كطقوس التجميل الجارية لدى أغلب المجتمعات إضافة إلى ظاهرة الحناء التي يعكس استعمالها جانب إغرائيا يرتبط بطبيعة الأنثى وأسرارها الحميمة، فالأحمر لون يعمل على استجلاب واستحضار العواطف الجياشة والغريزة[٣].

يرتبط اللون الأحمر عند الإنسان بعديد الأشياء منها لون البشرة وهو ما يطلق عليه الأشقر، فإذا كان الرجل أحمر فهو أشقر، والشقرة عند العرب

(١) اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي – شعر المعلقات نموذجا: أمل محمود عبد القادر أبو عون، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٣م، ص (٩٢) .

(٢) أديان ومعتقدات قبل التاريخ: خزعل الماجدي، دار الشروق للنشر والتوزيع، رام الله، فلسطين، ط١، ١٩٩٧م، ص (١١٧) .

(٣) انظر: إبداعات لونية وتأثيرها على النفس ص (٦٢) .

عيب[١]، غير أن الحمرة في الخد دلالة جمال ووسامة وهي صفة تختص بها المرأة دون الرجل، ولطالما وجدنا الشعراء يتغنون بحمرته مشبهينه بالتفاح الأحمر كما جاء في بيت أبي تمام السابق الذكر.

يرمز هذا اللون للقوة والحيوية والنشاط، كما أنه يرمز للفرح والسعادة والثقة بالنفس، وظهور اللون الأحمر كثيرا في هالة الإنسان يعني ميل الإنسان لاستخدام القوة الجسدية، بينما وجود لون أحمر زاه في ألوان الهالة يعبر عن وجود مشاعر طموح وكرم ومشاعر فياضة ومتأججة، وكذلك تعبر عن صحة جسدية قوية لصاحب هذه الهالة، وأما إذا كان اللون الأحمر داكنا فإنه يدل على وجود العواطف الجياشة والغريزة، وكذلك الوحشية والطمع والجشع[٢]، فهو لون قوي دافع، حيوي، محب، باعث على النشاط يرمز للدم والثورة ويزيد من انفعالات الإنسان، ومن الناحية الفسيولوجية يزيد من ضغط الدم عند الإنسان[٣]، كذلك فإن غرفة مدهونة بالأحمر يمكن أن ترفع مستوى الأدرينالين في الدم، وهناك اعتقاد بأن وجود الإنسان في مكان محاط باللون الأحمر يزيد من نشاطه بنسبة ١٠%، كذلك فإن الغرفة المدهونة بالأحمر تحث على الحديث والإسراع في تناول الطعام[٤].

واللون الأحمر هو لون الناس الذين يتصفون بالحزم والحيوية الدافقة، قوي شجاع وجريء، ويحب المغامرة ويحب الآخرين، ويعشق الإثارة، ومن يفضل اللون الأحمر يتصف بالنشاط والديناميكية والحيوية والشجاعة، شديد الحساسية، يهتم بالجانب الحسي أكثر من المعنوي[٥]، والذي يفضل اللون الأحمر متقلب

(١) كتاب الملمع ص (٩٠) .
(٢) إبداعات لونية وتأثيرها على النفس ص (٦٢) .
(٣) مبادئ التصميم واللون (٣٨) .
(٤) الألوان من السيكولوجية إلى الديكور: حسين جمعة، ٢٠٠٦م، ص (٣٠) .
(٥) فلسفة الألوان ص (١٠٠) .

المزاج، متسرع وقد يتصرف من دون مراعاة لمشاعر الآخرين[١].

يختلف بعض أهل الفن المختصين بالبحوث اللونية في دلالات اللون الأحمر، فيذهبون به إلى نقيض دلالات أخرى، فيذكر بعضهم أنه "في سياق الأحمر المتعدد الدلالات يمكن القول إن سيطرة اللون الأحمر على الأشياء بشكل نهائي هي صورة العذاب ومكمنه، ذلك أن الأحمر رمز إلى هذا لكل ما هو سلبي... رمز مطلق للقبح في الواقع"[٢].

اللون الأحمر في الحديث النبوي:

أ – الأحمر الصريح في الحديث النبوي:

تكررت ألفاظ الأحمر عن النبي ﷺ في الحديث النبوي أكثر من ستين مرة، وقد خرجت دلالاتها خروجًا واضحًا ومختلفًا عما هو معروف وتقليدي، فكانت في الأغلب الأعم دلالات جديدة على تراثنا، وقليل منها كان مقتبسًا من الدلالات السائدة الخاصة في الجزيرة العربية، وقد اهتم النبي ﷺ باللفظ الأحمر لما يحمله من دلالات جديدة وعميقة لا تؤديها غيرها، حيث تثير في السامع نوبة من الخروج من عوالمهم إلى عوالم جديدة لم تكن مألوفة من قبل، والألفاظ التي وظفها النبي والخاصة بهذا اللون هي (الأحمر – الحمراء – الحمرة – حُمُر – محمرّة – حُمْر) حسب ورودها في سياقها الخاص، فأراد النبي ﷺ أن يأتي بدلالات جديدة غير معروفة في الأدب العربي.

يرسم النبي ﷺ عبر حركة هائلة من الألوان بنوعيها الصريح وغير الصريح لوحة أدبية بديعة، فيفيد من الألوان التي أوجدها في الحديث النبوي، فتظهر حساسية عالية في اشتغالها السيميائي من بوابة التداخل الأدبي بين

(١) تأثير العطور والألوان على نفسية الإنسان: أحمد حجازي، دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن، ط ١، ٢٠٠١م، ص (١٣٤) .

(٢) اللون لعبة سيميائية – بحث إجرائي في تشكيل المعنى الشعري: فاتن عبد الجبار جواد، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ط ١، ٢٠١٠م، ص (١٣٨) .

الألوان، فنلحظ تداخلاً منسجمًا بينها، فقد وظف النبي ﷺ مفردات لونية لخدمة صورته الأدبية، منها: (قَحَطَ – هَلَكَت – السماء – سحاب – الشجر – سحابة – تهدمت – انقطعت) بالإضافة إلى اللون الأساسي (احْمَرَّت).

حدثنا محمد بن أبي بكر: حدثنا معتمر... «كان النبي ﷺ يخطب يوم جمعة، فقام الناس فصاحوا، فقالوا: يا رسول الله، قحط المطر، واحمرت الشجر، وهلكت البهائم... ما نرى في السماء قزعة من سحاب، فنشأت سحابة وأمطرت... تهدمت البيوت، وانقطعت السبل..»[١].

وفي هذا الحديث الشريف للنبي ﷺ نشهد تحويلاً في الدلالة العلامية للفكرة الحمراء المستمدة من العُرف السائد بارتباطها بالحياة والصحة والنصر إلى محاولة لنقل الدلالة إلى بعد مغاير وهو الهَلاَك والجَهْد.

يتحول اللون الأحمر في الحديث النبوي إلى بديل عن النجاة والفرج، عن عائشة ك: أن وليدة كانت سوداء لحي من العرب، فأعتقوها فكانت معهم، قالت: خرجت صبية لهم، عليها وشاح أحمر من سيور...، قالت: فلا تجلس عندي مجلسًا، ألا قالت:

وَيومَ الوِشَاحِ مِن أعَاجِيبِ رَبِّنَا * ألَا إنَّه مِن بَلْدَةِ الكُفْرِ أنْجَانِي**[٢]

وفي الحديث النبوي السابق نلمس ذكرى خاصة لذلك الوشاح الأحمر الذي من المفترض أن تكون مليئة بالمشاعر المؤلمة، ما يلبث إلى أن تنتقل من حدود تعبير الوليدة السوداء القصصي من مصدر مشحون بالذكريات المسيئة المخضبة برائحة الخوف إلى مصدر فرح، فيتحول الوشاح الأحمر إلى طوق نجاة يتيح لها الهرب نحو دين العدل والمساواة، لتنجو من دين الكفر وبلدته.

---

(١) ينظر: صحيح البخاري، للإمام أبي عبد الله بن محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق وتخريج: أحمد زهوة – أحمد عناية، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٤٣٢هـ، ٢٠١١م، ص ٢٠٨، برقم (١٠٢١).

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص (١٠٢)، برقم (٤٣٩).

يعكس الحديث النبوي إظهار معاناة النبي ﷺ من التنزيل عليه بالوحي، فلا نجد في اللون الأحمر إلاَّ رمزًا للتعب والكرب والمشقة لعظم وقع الوحي لما فيه من مخالفة العادة، حتى أن وجهه ﷺ يتغير لونه حال نزوله عليه.

قال أبو عاصم: أخبرنا ابن جريج، أخبرني عطاء: أن صفوان بن يعلى أخبره... أرني النبي ﷺ حين يوحى إليه قال: فبينما النبي ﷺ بالجعرانة، ومعه نفر من أصحابه... وعلى رسول الله ﷺ ثوب قد أظل به، فأدخل رأسه، فإذا رسول الله ﷺ محمّر الوجه، وهو يغط، ثم سري عنه...(١)

يشير الحديث السابق إلى أن النبي ﷺ كانت تحصل معه بنزول الوحي عليه أحوال، يراها ويسمعها ويشعر بها من حوله من أصحابه يومن ذلك:

١ – أنه يتغير وجهه ﷺ فيحمّر، وقد وصف الصحابي الجليل يعلى بن أمية وجه النبي ﷺ عند نزول الوحي عليه في الحديث السابق بقوله: «فإذا رسول الله ﷺ محمّر الوجه، وهو يغط.. ».

٢– كان ﷺ يغطي رأسه بثوب، كما ورد في الحديث السابق «وعلى رسول الله ﷺ ثوب قد أظل به، فأدخل رأسه».

وكل ما أصاب النبي ﷺ من كرب وشدة لا شك أنه بسبب ثقل الوحي، فاحمرار الوجه، والغطيط، المذكوران في حديث يعلى بن أمية، إنما كانت لثقل الوحي عليه كما أخبر سبحانه بذلك بقوله: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ٥]، وذلك لضعف القوة البشرية عن تحمل مثل ذلك الوارد العظيم، وللوجل من توقع تقصير فيما يخاطب به من قول أو فعل.

وقال الليث، عن أبي الزناد: كان عروة بن الزبير يحدث عن سهل... كان الناس في عهد رسول الله ﷺ يتبايعون الثمار، فإذا جدّ الناس... فقال الرسول ﷺ لما كثرت الخصومة في ذلك: «فإمّا لا، فلا يتبايعوا حتى يبدو صلاح الثمر»...

(١) ينظر: المرجع السابق، ص (٣١٢)، برقم (١٥٣٦).

أن زيد بن ثابت لم يكن يبيع ثمار أرضه حتى تطلع الثريا، فيتبين الأصفر من الأحمر... »[١].

يشعر الحديث الشريف أن الصحابة كانوا يستشيرون النبي ﷺ في كل جوانب حياتهم ومن ذلك البيع والشراء، فنجد النبي ﷺ ينهاهم لمّا كثرت عنده الخصومة عن بيع الثمار قبل بدو الصلاح الذي جعل اللون الأحمر دلالة عليه.

وسبب النهي عن ذلك خوف الغرر لكثرة الجوائح فيها، وفي حديث أنس: «فإن احمرّت وأكل منها أمنت العاهة عليها»،[٢] والمعنى فيه أن تؤمن فيها العاهة وتغلب السلامة، ولا يكون ذلك حتى تطلع الثريا، فيتبين الأصفر من الأحمر لحديث زيد السابق: «لم يكن يبيع ثمار أرضه حتى تطلع الثريا فيتبين الأصفر من الأحمر».

فتضمن هذا الحديث قياسًا على العرف الاجتماعي أكثر الطرق شيوعًا التي تحكم بها على ما إذا كانت الثمار ناضجة أم لا، بما في ذلك الخصائص الخارجية مثل اللون.

فدلالة اللون الأحمر هنا رمزية حيث ارتبط هذا اللون بالنضج والصلاح الذي يعتبر من أبرز دلالاته.

حدثنا قتيبة بن سعيد: ... أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن اللقطة، قال: «عرّفها سنة، ثم اعرف وكاءها وعفاصها، ثم استنفق بها، فإن جاء ربها فأدها إليه»: قال: يا رسول الله، فضالة الإبل؟ قال: فغضب رسول الله ﷺ حتى احمرّت وجنتاه، أو أحمرّ وجهه... »[٣].

تظهر دلالة اللون الأحمر في هذا الحديث النبوي بعمق أكبر مما كانت عليه من قبل، حيث ارتبط اللون الأحمر عبر الثقافات بمفهوم الغضب، ويمكن

(١) ينظر: المرجع السابق، ص (٤٣٢)، برقم (٢١٩٣).
(٢) ينظر: المرجع السابق، ص (٤٣٣)، برقم (٢١٩٥).
(٣) ينظر: صحيح البخاري، ص (٤٨٥)، برقم (٢٤٣٦).

اعتبار ذلك منطقيا، خاصة أن الشخص إذا غضب، يزداد تدفق الدم في وجهه، ممّا يجعل لون وجهه أكثر حمرة. وإنما كان غضب النبي ﷺ عند السؤال عن ضالة الإبل استقصارًا لعلم السائل، وسوء فهمه، إذ لم يراع المعنى المشار إليه، ولم ينتبه له، فقاس الشيء على غير نظيره، وقد بين ﷺ السبب في ذلك بقوله: «معها سقاؤها». فمفردة (احمرّت – احمرّ) في الحديث الشريف هي عبارة عن إشارة حسّية بصرية، لما للون من تأثير ودلالة، حيث يوجد إجماع عالمي كبير على أن اللون الأحمر هو اللون الوحيد المرتبط بقوة بكل من الشعور السلبي – الغضب– والشعور الإيجابي – الحب–.

حدثنا عبد الله بن مسلمة، عن مالك... أن رسول الله ﷺ قال: «الخيل لثلاثة: لرجل أجر، ولرجل ستر، وعلى رجل وزر...» وسئل رسول الله ﷺ عن الحُمُر فقال: «ما أنزل علي فيها إلاّ هذه الآية الجامعة الفاذة: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[الزلزلة: ٧-٨]»[(١)].

يدل اللون الأحمر في هذا الحديث الشريف على الجنس (النوع) من خلال البعد اللوني الذي قُرِن به، فدلالة (الحُمُر) توحي بالجنس (النوع)، فللخيول ألوان كثيرة، وقد وهب الله تعالى الخيل العربية الأصيلة أجمل الألوان وأبهاها، ومن أشهر ألوانها: الكميت، والأشقر والأحمر والأسود والأشهب والأبيض. وفي وصف الخيل بالحُمُر توليد دلالة جديدة لا سيما أن الخيل الحمر تدل دلالة واضحة عليه[(٢)]، خاصة أن العرب ضلعوا بتمييز الخيل بألوانها وأصولها.

حدثنا عبدان: أخبرنا عبد الله:... أن حسين بن علي عليهما السلام أخبره: أن عليا قال: كانت لي شارف من نصيبي من المغنم يوم بدر... فإذا شارفاي قد اجتب أسنمتها، وبقرت خواصرهما وأخذ من أكبادهما،... فانطلقت حتى أدخل

(١) ينظر: المرجع السابق، ص (٥٨٢)، برقم (٢٨٦٠).

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص (٥٩٨)، برقم (٢٩٤٢)، ص (١٥٢٢)، برقم (٧٥٣٥).

على النبي ﷺ... فدعا النبي ﷺ بردائه فارتدى... حتى جاء البيت الذي فيه حمزة، فاستأذن، فأذنوا لهم، فإذا هو شَرْبٌ، فطفق رسول الله ﷺ يلوم حمزة فيما فعل، فإذا حمزة قد ثمل، محمرّة عيناه، فنظر حمزة إلى رسول الله ﷺ... ثم قال: هل أنتم إلاّ عبيد لأبي، فعرف رسول الله ﷺ أنه قد ثمل، فنكص رسول الله ﷺ على عقبيه القهقرى، وخرجنا معه(١).

يمتلئ الحديث الشريف بالدلالات التي يكتسبها من خلال اللون الأحمر، إلاّ أنه في هذا الحديث يظهر شيئًا جديدًا من خلال اللون الأحمر يحاول من خلاله أن يدلل على أن للخمر تأثير على نظام الجسم، وأن أحد أهم الأعراض التي تظهر على شارب الخمر هي احمرار العين (محمرّة عيناه)، عدا أن الخمر أصل الشرور ومنبعها، وأم الخبائث؛ لأنها تؤدي إلى مفاسد كثيرة وضررها لا يقتصر على شاربها فقط، بل يتعدى إلى غيره كما يظهر في حديث الحسين بن علي. فبعد مشهد دخول النبي ﷺ البيت الذي فيه حمزة، ورؤيتهم وهم يشربون الخمر بدأ الرسول ﷺ يلوم حمزة على ما فعله، فإذا هو قد اشتد به السُكر حتى إنه قد احمرّت عيناه، ثم قال: "هل أنتم إلا عبيد لأبي، فعرف ﷺ أنه ثمل لا يعي ما يقوله، ولا يلام على ما صدر منه، فعاد وتركه. ومن هنا كانت دلالة اللون الأحمر رمزية، ترمز للغياب عن الوعي وأن الخطاب ليس له مجال مع ثمل فاقد للعقل.

حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب: حدثنا حماد: حدثنا أيوب... قال: كنا عن أبي موسى، فأتى – ذكر دجاجة – وعنده رجل من بني تيم الله أحمر كأنه من الموالي، فدعاه للطعام...(٢).

يظهر الحديث النبوي في ثبات اللون الأحمر في معناه المتداول والشائع

(١) ينظر: المرجع السابق، ص (٦٢٧)، برقم (٣٠٩١).
(٢) المرجع السابق، ص (٦٣٦)، برقم (٣١٣٣).

الذي ترمز به العرب إلى الأعاجم والموالي، وهم خلاف العرب من الخدم والحلفاء من غير العرب كالفرس والأتراك والأكراد، وكأنهم يختصمون بهذا اللون دون العرب، ففي قوله: (أحمر) تشبيه له بالموالي يعني الأعاجم.

ويزيد في تأكيد تميزهم بهذا اللون الأحمر وصفهم به في أكثر من موضع ومن ذلك: حديث أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قومًا نعالهم الشعر، وحتى تقاتلوا الترك، صغار الأعين، حمر الوجوه، ذلف الأنوف، كأن وجوههم المجان المطرقة»(١).

أي أن من صفاتهم أن وجوههم بيضاء مشربة بحمرة، لغلبة البرد على أجسادهم. ومنه حديث أبي هريرة ﷺ: أن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزًا وكرمان من الأعاجم، حمر الوجوه، فطس الأنوف، صغار الأعين، كأن وجوههم...»(٢).

فخور وكرمان إقليمان من أقاليم العجم والمقصود هنا الأقوام التي خلف جبل القوقاز، ممن يحملون أوصاف الترك: حمر الوجوه، فطس الأنوف...

يتضح من الأحاديث السابقة ارتباط اللون الأحمر عند العرب بالأعاجم والموالي فيطلقون على الرجل ذي البشرة البيضاء الأحمر، فإذا كان الرجل أحمر فهو أشقر.

حدثنا محمد بن بشار: حدثنا غندر... عن النبي ﷺ قال: «رأيت ليلة أسري بي موسى، رجلاً آدم، طوالاً جعدًا، كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى رجلاً مربوعًا، مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض، سبط الرأس...»(٣).

يدل اللون الأحمر على العديد من المعاني الرمزية المختلفة، ومنها الوصف، ففي الحديث النبوي السابق وُصف عيسى عليه السلام خَلْقيا بأنه

(١) المرجع السابق، ص (٧٢٩)، برقم (٣٥٨٧).
(٢) المرجع السابق، ص (٧٢٩)، برقم (٣٥٩٠).
(٣) ينظر: المرجع السابق، ص (٦٥٩)، برقم (٣٢٣٩).

(مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض) أي بشرته مشربة بالحمرة، واستنادًا إلى عدّة أحاديث نبوية يمكن إثبات صفة موسى عليه السلام الخَلْقية أنه رجل قوي البنية طوله متوسط، عريض الصدر، شعره باهت مجعد، طويل بين كتفيه، بشرته مشربة بالحمرة، ومن هذه الأحاديث: حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ليلة أسري به: «... رأيت عيسى، فإذا هو رجل ربعة أحمر، كأنما خرج من ديماس...»[١]، وحديث ابن عمر ب قال: قال النبي ﷺ: «رأيت عيسى وموسى وإبراهيم، فأما عيسى فأحمر جعد عريض الصدر، وأما موسى فآدم جسيم سبط، كأن رجل من الزط»[٢].

ومن دلالة الأحمر على الوصف كذلك، حديث سالم عن أبيه قال:... «بينما أنا نائم أطوف بالكعبة... فإذا رجل أحمر جسيم، جعد الرأس، أعور عينه اليمنى، كأن عينه عنبة طافية، قلت: من هذا؟ قالوا: هذا الدجال»[٣]، فقد وُصف الدجّال خَلْقيا بأنه رجل أحمر جسيم.

حدثنا قتيبة: حدثنا يزيد بن زريع، عن خالد، عن عكرمة، عن عائشة ك قالت: اعتكفت مع رسول الله ﷺ امرأة من أزواجه مستحاضة، فكانت ترى الحمرة والصفرة، فربما وضعنا الطست تحتها وهي تصلي[٤].

يعود اللون الأحمر هذه المرة من بوابة الماضي، فتقول عائشة ك في الحديث الشريف الذي ترويه: «فكانت ترى الحمرة والصفرة»، فتشكل الصورة اللونية في الحديث نابع من ارتباطاته القوية في الماضي، حيث رأى أسلافنا في عصور ما قبل التاريخ باللون الأحمر على أنه لون النار، وطاقة الدم، ومعظم رمزية الأحمر تتبع اليوم من ذلك الارتباط.

---

(١) المرجع السابق، ص (٧٠٣)، برقم (٣٤٣٧).

(٢) المرجع السابق، ص (٧٠٣)، برقم (٣٤٣٨).

(٣) المرجع السابق، ص (٧٠٤) ، برقم (٣٤٤١).

(٤) ينظر: المرجع السابق، ص (٤٠٤)، برقم (٢٠٣٧).

«فكانت ترى الحمرة والصفرة»، أي: ترى أثر الحيض ونزول الدم وهي مستحاضة، فكانت زوجة النبي ﷺ «ترى الصفرة»، أي: مرّة عند قلة الدم، و«الحمرة» مرّة أخرى عند كثرة الدم، وهذا دليل الاستحاضة، وهو دم فاسد، لذلك وُضع الطست تحتها وهي تصلي، للأمن حتى لا تلوث المسجد، فارتباط اللون الأحمر بالدم الذي يعتبر من أبرز دلالاته، هذه الدلالة ترتبط بالحرب والقتل والثورة عادة، ودلالة لون الدم الأحمر في هذا الحديث ترمز إلى معنى مخالف للمعنى السابق، وهو استمرار الحياة لجريان الدماء في العروق.

يذهب الحديث الشريف إلى أعماق الون الأحمر، ليظهر قدرًا أعلى وأقوى وأكثر انفتاحًا على المعاني في صورة جمعت بين ألوان عديدة، وذلك في حديث البراء بن عازب ﷺ قال: «كان النبي ﷺ مربوعًا، بعيد ما بين المنكبين، له شعر يبلغ شحمة أذنه، رأيته في حلة حمراء، لم أرَ، لم أرَ شيئًا قط أحسن منه»[1].

والحلة ازار ورداء ولا تكون الحلة إلاّ اسمًا للثوبين معًا، وغلط من ظن أنها كانت حمراء بحتًا لا يخالطها غيره، وإنما الحلة الحمراء بردان يمانيان منسوجان بخطوط حمر مع الأسود كسائر البرود اليمنية.

يظهر الحديث الشريف ارتباط اللون الأحمر عند الإنسان بعديد الأشياء، منها لون الثياب وهو ما يطلق عليه (حلّة)، فدلالة اللون الأحمر هنا دلالة خاصة لا سيما أن الثياب الحمراء لم تكن لعامة الناس، بل هي دليل رفاه وغنى[2].

يظهر الحديث الشريف دلالة الطُهر الجديدة للون الأحمر، فليس في منطقه دنس، وذلك في حديث عائشة ك الذي قالت فيه: لما ذكر من شأني الذي ذكر، وما علمت به، قام رسول الله ﷺ في خطيبًا... ولقد جاء رسول الله ﷺ بيتي

(١) المرجع السابق، ص (٧٢٢)، برقم (٣٥٥١).

(٢) ينظر: اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي، ص (٩٢).

فسأل عني خادمتي فقالت: لا والله ما علمت عليها عيبًا... والله ما علمت عليها إلاّ ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر...»[١].

وفيه يظهر الحديث دلالة الجلاء والوضوح من وراء اللون الأحمر، وذلك معنى قول الخادمة حينما قالت: "والله ما علمت عليها إلاّ ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر"، أي كما لا يعلم الصائغ من الذهب الأحمر إلاّ الخلوص من العيب، فكذلك أنا لا أعلم منها إلاّ الخلوص من العيب، وهنا الأحمر جاء بمعنى الطُهر والبراءة والنقاء.

يعود اللون الأحمر ليضاعف قوة الأداء في اللغة والصورة من حديث نبوي تصف فيه عائشة السيدة خديجة ك في عبارات واضحة وصريحة يفسرها ما قبلها من جُمل تدل عليها، تقول عائشة ك: استأذنت هالة بنت خويلد، أخت خديجة، على رسول الله ﷺ، فعرف اسْتِئْذانَ خديجة فارتاع لذلك، فقال: «اللهم هالة». قالت: فغرت، فقلت: ما تذكر من عجوز من عجائز قريش، حمراء الشدقين، هلكت في الدهر، قد أبدلك الله خيرًا منها[٢]. كل الجمل التي سبقت ولحقت ذكر اللون الأحمر في الحديث تحتوي على عبارات فيها قدر كبير من الوصف، تظهر كيفية الغيرة، في صورة لا تضاهيها صورة تبعث على الغضب، فعائشة ك تتحدث عن خديجة، فتقول واصفة إياها: "ما تذكر من عجوز من عجائز قريش، حمراء الشدقين، والشدق جانب الفم، وتقصد: سقوط الأسنان من الكبر، فلم يبق بشدقيها بياض إلاّ حمرة اللثاتِ، هلكت فماتت في الدهر والزمان الغابر، وكانت قد ماتت قبل هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة بثلاث سنين. وقد أبدلك الله خيرًا منها، أي: قد بدلك الله بكبيرة السن حديثة السن، تقصد نفسها. فحديث عائشة ك منفتح الدلالة، يظهر الغيرة التي غالبًا لا تظهر وتظل كامنة في الإنسان دون أن

(١) ينظر: المرجع السابق، ص (٩٨٢)، برقم (٤٧٥٧).

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص (٧٧٢)، برقم (٣٨٢١).

يبديها. وقد قالت عائشة ك في خديجة قولاً كبيرًا، لكن النبي ﷺ لم يدفع وهو العليم بالغيرة وإفرازاتها إلى إصدار حكم أو اتخاذ موقف منها ك، إلاّ أنه أنصف خديجة ك بقوله: «ما أبدلني الله ﷻ خيرًا منها؛ فقد آمنت بي إذ كفر بي الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله ﷻ ولدها إذ حرمني أولاد النساء».

لا تغيب دلالة الأحمر، وإنما تظهر بمنحى جديد في هذه الأحاديث الشريفة، فيظهر مدى الاهتمام باللون الأحمر منذ القدم، واعتباره من ألوان الجمال، ولو لم يكن اللون الأحمر يشغل حيزًا لما حظي باهتمامهم، يقول عثمان بن عبد الله بن موهب: أرسلني أهلي إلى أم سلمة بقدح من ماء – وقبض إسرائيل ثلاث أصابع – من قصة، فيه شعر من شعر النبي ﷺ، وكان إذا أصاب الإنسان عين أو شيء بعث إليها مخضبة، فاطلعت في الحجل، فرأيت شعرات حمرًا[١].

وقال لنا أبو نعيم: حدثنا نصير بن أبي الأشعث، عن ابن موهوب: أن أم سلمة أرته شعر النبي ﷺ أحمر[٢].

وحديث عثمان بن عبد الله بن موهب قال: دخلت على أم سلمة، فأخرجت إلينا شعرًا من شعر النبي ﷺ مخضوبًا[٣].

كان النبي ﷺ يحب أن يكون في أجمل وأبهى صوره، فكان بفعله لتغيير الشيب وخضابه بالأحمر، يعلّم البشرية كيف تُظهر جمال خلق الله، ومن حثه ﷺ على تغيير الشيب قوله: «يا معشر الأنصار حمِّروا وصفِّروا وخالفوا أهل الكتاب»[٤].

(١) ينظر: المرجع السابق، ص (١٢١٧)، برقم (٥٨٩٦).
(٢) المرجع السابق، برقم (٥٨٩٨).
(٣) المرجع السابق، برقم (٥٨٩٧).
(٤) ينظر: فتح الباري، لابن حجر، (٣٦٧/١٠).

وعليه فدلالة اللون الأحمر هنا دلالة رمزية، حيث يعد الأحمر واحدًا من أبرز ألوان الجمال إذ يدل على التحفيز والطاقة والنشاط، كما ورد في علم النفس، وكما دل عليه ظاهر الأحاديث السابقة.

يشير اللون الأحمر في الحديث الشريف إلى العديد من الدلائل المختلفة، حيث يرتبط هنا بالنشاط والقوة والطاقة، يروي عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: أتيت النبي ﷺ وهو في قبة حمراء من أدم، ورأيت بلالاً آخذ وضوء النبي ﷺ، والناس يبتدرون الوضوء، فمن أصاب منه شيئًا تمسح به...[١].

يرمز اللون الأحمر في هذا الحديث للقوة والحيوية والنشاط، إذ تشير العديد من الدراسات إلى أنه في حال التعرض للون الأحمر أو ظهوره في هالة الإنسان من خلال ارتداء ملابس اللون الأحمر أو وجوده في ألوان الهالة المحيطة به سينجم عنه ارتفاع مستويات الطاقة لدى الشخص والشعور بالهيمنة، إذ يمنح اللون الأحمر النفس البشرية نشاطًا أكبر وطاقة مضاعفة، ولذلك صُنع للنبي ﷺ تلك القبة الحمراء من أدم وهو الجلد المدبوغ والقبة هي الخيمة الصغيرة، وما دبغت باللون الأحمر إلا لكونه لون قوي دافع، حيوي، باعث على النشاط والحيوية[٢].

في حديث آخر من أحاديث النبي ﷺ تتجه دلالة اللون الأحمر لتمثل حالة العلو، والرفعة، والأفضلية. يقول أبو هريرة ﷺ: أصابني جهد شديد، فلقيت عمر بن الخطاب، فاستقرأته آية من كتاب الله، فدخل داره وفتحها علي، فمشيت غير بعيد فخررت لوجهي من الجهد والجوع... قال عمر: والله لأن أكون أدخلتك أحبّ إلي من أن يكون لي مثل حُمْر النعم[٣].

وحُمْر النعم الواردة في الحديثين السابقين هي: كرائم الإبل، يضرب بها

(١) ينظر: صحيح البخاري، ص (١٢١٢)، برقم (٥٨٥٩).
(٢) ينظر: مبادئ التصميم واللون، ص (٣٨).
(٣) ينظر: صحيح البخاري، ص (١١٢٧)، برقم (٥٣٧٥).

المثل في الرغائب والنفائس، وهي أكرم الإبل وأعلاها منزلة، وتعد من أفضل أموال العرب وأعزها عليهم، والعرب إذا أرادت أن تعبر عن قيمة الأمر الغالي الثمين عندها فإنها تقول عنه: «أفضل من حُمْر النعم».

أما دلالتها فقد استخدم النبي ﷺ تعبير حُمْر النعم لبيان أن هناك مسائل دينية إذا قام بها المسلم فهي أفضل له من أن يمتلك أكرم الأموال وأثمنها، أو أن المسلم قدّم طاعة لله تعالى تفوق في قيمتها عنده –سبحانه– أفضل مما عند العرب من الأموال.

ومن الأحاديث التي استخدم النبي ﷺ تعبير حمر النعم قوله ﷺ: أنفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحدًا، خير لك من أن يكون لك حُمْر النعم[1]؛ والجامع بين الأحاديث السابقة هو دلالة (حُمْر) على الأفضلية والعُلُو والعِزّة والحُظْوة.

ب– الأحمر غير الصريح في الحديث النبوي:

لم يقتصر النبي ﷺ في استخدامه للون الأحمر على اللفظ المباشر له، وإنما وضع في ثنايا حديثه النبوي الشريف بعض الألفاظ الموازية له دلاليا، توحي بنفس القدر من الحمرة مع إضفاء دلالات أخرى جديدة يوحيها ويتميز به كل لفظ من هذه الألفاظ عن غيره في سياقه الخاص المؤلف له، ومن هذه التعبيرات الموحية بالأحمر: (الدم – النار– الجحيم)، وقد ذكر كل لفظ من هذه الألفاظ بقدر يختلف عن الآخر، حيث كان الأكثر ذكرًا من بينها لفظ (النار)، وكانت الأقل ذكرًا هي كلمة (الجحيم)، وجاءت لفظ (الدم) بينهما.

حملت كل كلمة من هذه الكلمات دلالات جديدة جعلت لغة الحديث النبوي الشريف بؤرة معان عميقة وواسعة، في تجلٍ نوعي من تجليات هذه اللغة وما

(١) ينظر: المرجع السابق، ص (٨٥٢)، برقم (٤٢١٠).

تتمخض عنه من تمظهر تكتسب به حضورًا سيمائيا عن طريق اندماجها بالخطاب النبوي.

ومن هذه السياقات التي ذكر فيها النبي ﷺ لفظ (الدم) الموازي للون الأحمر، قوله ﷺ: «كل كلم يكلمه المسلم في سبيل الله، يكون يوم القيامة كهيئتها، إذ طعنت، تفجر دمًا، اللون لون الدم، والعرف عرف المسك»(١).

يتحدث النبي ﷺ في هذا الحديث الشريف عن فضل الجهاد في سبيل الله تعالى وما ينال صاحبه، من حسن المثوبة، ويشكل (الدم) بؤرة الإيحاء اللوني في هذا الحديث كاملاً يتمظهر من خلال السياق، حيث يرضي الشهيد ربه كما بين النبي ﷺ، ليصل الأمر إلى إراقة الدماء مرضاة له، وفي تعبير (تفجر دمًا) تعبير حقيقي عن الدماء الكثيرة التي لا يكترث لها الشهيد، وآخر مجازي لإظهار فضل الجراحة في سبيل الله، فهي أثر من طاعته لله ومجاهدة أعدائه، لذلك خصه الله بهذا الفضل الذي يميز به المجروح يوم القيامة، بأن يأتي على رؤوس الخلائق بوسام الجهاد والبلاء فيه، إذ يجيء بجرحه طريا يسيل ويتفجر منه الدم، ولكن هذا الدم وإن كان لونه لون الدم إلاّ أن عرفه – أي رائحته – تكون طيبة مثل رائحة المسك.

ومن التعبيرات الموازية للأحمر التي استخدمها الرسول ﷺ لفظ النار، فقال في الحديث: «واشتكت النار إلى ربها، فقالت: يا رب أكل بعضي بعضًا، فأذن لها بنفسين: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فهو أشد ما تجدون من الحر، وأشد ما تجدون من الزمهرير»(٢).

وقد ذكر النبي ﷺ في هذا الحديث لفظ النار، وهي دلالة طبيعية، ولكنها تعكس جمالاً بلاغيا، حيث جعل لها لسانًا وروحًا تبث من خلالهما شكواها،

(١) ينظر: المرجع السابق، ص (٦٣)، برقم (٢٣٧).
(٢) المرجع السابق، ص (٤٩٠)، برقم (٢٤٥٨).

فكانت الدلالة فيها دلالة حقيقية على النار الطبيعية، وقد عرفها بأل التعريف التي تدل على معرفة وهي النار المعروفة، فيما كانت في حديث آخر نكرة بعكس ما ورد في الحديث السابق، مما يسلب منها دلالتها الحقيقة المعروفة، يفسره سياقها الذي وردت فيه في قول الرسول ﷺ على سبيل المجاز باعتبار ما سيكون: «من شرب وفي رواية: «إن الذي يأكل أو يشرب في إناء من ذهب أو فضة، فإنما يجرجر في بطنه نارًا من جهنم»[1]؛ وفيه يرمز لفظ النار إلى العقوبة والإثم والذنب الذي يكابده من شرب أو أكل في إناء من ذهب أو فضة، وهنا جعل النبي ﷺ شيئًا من دلالة الأحمر في موضعه المألوف وهو الدلالة على الألم الناتج عن الحرق بالنار، وتوظيفه لعباره (يجرجر في بطنه) يوحي بأبدية الألم الذي يكابده.

وظف الحديث الشريف حمرة الشجر ليعبر عن السنة التي أصابت الناس على عهد النبي ﷺ، فقد وظف لفظ (احمرت) في صورة بلاغية جديدة، وهي صورة مناقضة ومعاكسة عما كنا نألفه، فقال ﷺ في الحديث الذي رواه أنس، قال: كان النبي ﷺ يخطب يوم جمعة، فقام الناس فصاحوا، فقالوا: يا رسول الله، قحط المطر، واحمرت الشجر، وهلكت البهائم، فادع الله يسقينا، فقال: «اللهم اسقنا»[2]... .

وفي الحديث صورة معكوسة، فقد كانت الحمرة دلالة الخصوبة والسعادة والصحة والحياة، وهنا تمثل حمرة الشجر دلالة الجدب والقحط، وفيه نشهد خروجًا واضحًا عن جعل الأحمر رمزًا للبهجة والطمأنينة والانفتاح على الحياة، وفي حمرة الشجر رمز للهلاك، وهذا ما خالف به الحديث الشريف حيث جعله رمزًا لانتهاء الحياة.

(١) المرجع السابق، ص (٤٩٠)، برقم (٢٤٥٨).

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص (٢٠٨)، برقم (١٠٢١).

نلاحظ في حديث آخر حشدًا للألفاظ الموازية للون الأحمر، فقد كُوِّن فيه لوحة لونية عالية، جُعِل منها منبعًا للون الأحمر، يقول حذيفة بن يمان: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني... قال: «نعم دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها». قلت يا رسول الله صفهم لنا.... ولو أن تعض بأصل شجرة، حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»[(١)].

يكتظ الحديث السابق بتعبيرات مزدحمة من التشكيلات غير المباشرة للتعبير اللوني الدال على اللون الأحمر، فالوحدات الصورية اللونية المكونة للحديث (جهنم – الموت –الشر – دخن) تعمل كلها في نظام لوني يستجيب لعمق المعنى وكثرة معطياته، وتعمل بتحريض قوي لكي يفتح كل آفاق خيال المتلقي لإدراك القيمة التعبيرية التي أراد النبي ﷺ أن يوصلها من خلال هذه الصورة اللونية المكونة للمعنى.

تشكل هذه الإيحاءات رمزًا للزوم جماعة المسلمين وإمامهم والنهي عن الفرقة التي تحدث عنها النبي ﷺ نجد ذلك في (جهنم) التي تمثل الخطر والعقوبة، وفي (الموت) الذي يمثل النهاية، أو حتى في (الشر) الذي يرمز للتحذير والعدوانية، أو على الأقل (دخن) التي تعطي شيئًا من دلالة النار وهي أقل الدرجات، و (تعض بأصل شجرة) كناية عن مكابدة المشقة وترمز إلى الاعتزال الذي هو خير من الدخول بين طائفة لا إمام لهم خشية ما يؤول من عاقبة ذلك من فساد الأحوال، باختلاف الأهواء وتشتت الآراء، (حتى يدركك الموت وأنت على ذلك) أي ولو كان الاعتزال بالعض فلا تعدل عنه، وكل تلك الصور تشكل مجتمعة الدعوة إلى لزوم جماعة أهل الإسلام والنهي عن مفارقتهم.

(١) المرجع السابق، ص (١٤٣٤)، برقم (٧٠٨٤).

المبحث الثاني

اللون الأصفر

١- اللون الأصفر دلاليا:

يعتبر اللون الأصفر من الألوان الأساسية، وهو يضفي جمالا على الأشياء من حولنا، ويعطي شعورا بالدفء والحيوية لما له من ارتباطات بعناصر طبيعية مثل الشمس والنار، فهو أكثر الألوان إشراقا ويوحي بالنشاط والمرح والحيوية، ويستخدم في الحوائط المظلمة، كما أن لهذا اللون قدرة على طرد الحشرات[١]، وقد جاء في لسان العرب واصفرَّ واصفارًّ وهو أصفر، وصفَّره غيره[٢]. وجاء في الملمع عن درجات الصفرة: أصفر فاقع وفقاعي، ولا يقال فاقع إلا للأصفر، وأول عرق الأبل الأسود، فإذا بقي اصفرَّ، وإذا كانت الحنظلة صفراء فهي صراية[٣]، ويدل على الفاقع في الأصفر على الإشباع والتأكيد، فقد أورد الثعالبي في فقه اللغة في فصل الإشباع والتأكيد قوله أصفر فاقع[٤]، وجاء في اللسان أيضا ما يبين أن الأصفر موضع إغراء تستقوي به الدنيا على ضعفاء النفوس من أبنائها، حيث جاء عن علي بن أبي طالب قوله: «يا دنيا احمري واصفري وغري غيري»[٥] وقد أهلك النساء الأصفران وهما الذهب والزعفران.

والطبيعة مليئة باللون الأصفر فهي تمثل مصدر التدفئة الرئيس في الكون وهو الشمس، وتحتوي الطبيعة على تناقضات واضحة تختص باللون الأصفر، فالأصفر الجميل يمثل لمعان الذهب وبريقه، ويمثل بعض الأطعمة الشهية مثل التفاح والموز والأناناس والشمام والليمون والعديد من الأطعمة الأخرى، ويتمثل

---

(١) الألوان من السيكولوجية إلى الديكور، ص (١٥).

(٢) لسان العرب مادة (صفر).

(٣) ينظر: الملمع ص (٩٧- ١٠٠).

(٤) فقه اللغة، ص (١٢٨) .

(٥) لسان العرب مادة (صفر).

جمال الأصفر في سقوط أشعة الشمس الصفراء لتلتقي مع الشاطئ ورمال البحر الصفراء الباردة لتعطي منظرا رائعا وشعورا بالهدوء إلا من ضجيج البحر، فيما يشكل وجه التناقض في الأصفر مع الوجه الجميل السابق فصل الخريف حيث يمثل سقوط أوراق الأشجار لتلتحم مع الأرض المصفرة، والأصفر هو لون العواصف الترابية التي تعصف بالبلدان المختلفة بين الفينة والأخرى، وهو كذلك لون الصحراء الجدباء الجرداء. وقد عرف العرب في السابق الربط بين الشمس واللون الأصفر، فكانوا يصبغون ملابسهم بلون أطلقوا عليه لون الشمس، وكانوا يطلقون على الثوب الذي يبدو أصفر لامع اسم (الثوب المهرَّي) أي المصبوغ بلون الشمس، وكانت السادة من العرب تلبس العمائم المهراة وهي الصفرة[١].

يعتبر اللون الأصفر من الناحية الدلالية لونا باعثا على التفاؤل والسعادة والحياة المرحة، وله تأثير إيجابي في الرمز إلى الخفة والثراء، ويرمز في كثير من البلدان إلى الحياة والحقيقة والحكمة[٢]، وتتصف الشخصية المحبة للون الأصفر أنها عملية وموضوعية وتحب الانتفاع من كل شيء، مرح ومنطلق ومتفائل لافت للانتباه صاحبه يتمتع بتفكير أصيل ولديه طاقات مختلفة متفجرة، وظهور هذا اللون في شخص يدل على الوفرة العقلية واستخدامها باحتراف ومهارة، وهو لون يساعد على تنشيط العقل في المجالات الفكرية والتذكرية[٣]، وللون الأصفر جانب آخر، فعلى الرغم من تلك الصفات التي يتصف بها محب اللون الأصفر غير أنه لوحظ أنه لون يوحي بالقلق وخصوصا عندما يجلس الأشخاص في حجرة مدهونة باللون الأصفر، حتى أن الأطفال تبكي أكثر في حجرة مطلية باللون الأصفر[٤]، ويعكس الأصفر بعض الخصائص السلبية،

(١) توظيف اللون في شعر ابن الرومي ص (٨٢) .
(٢) ينظر: الألوان من السيكولوجية إلى الديكور ص (٣٠) .
(٣) فلسفة الألوان ص ٩٩، ينظر: إبداعات لونية ص (٧١) .
(٤) إبداعات لونية ص (٧٠) .

فالأصفر الداكن كان يستخدم للدلالة على الخيانة الوطنية والحسد، وكذلك يعتبر الأصفر رمزا للجبن والتحامل والاضطهاد[١].

ومن الناحية الفسيولوجية هو لون المزاج المعتدل، يكون مهدئا للأعصاب، ويستخدم في علاج بعض الأمراض العصبية[٢]، ورمز للتعب الجسدي المستوحى من (اصفرار الوجه).

"يعتبر اللون الأصفر على صعيدي التدليل والتشكيل لونا إشكاليا، ينطوي على قدر مهم من التعقيد والغموض والحساسية، لا تظهر لعبة المعنى على نحو واضح إلا من خلال التناغم الذي يجب أن يحصل أدبيا بين التشكيل والتدليل "[٣].

٢- اللون الأصفر في الحديث النبوي:

أ- الأصفر الصريح في الحديث النبوي:

تكرر اللون الأصفر في الحديث النبوي أكثر من ثمانية وعشرين مرة، وقد انزاح في بعض مواضعه انزياحًا واضحًا منحه ميزة سيمائية، ولكن هذا الخروج لم يكن في المواضع جميعًا، وإنما اقتصر على بعضها مكررة نفسها في المواضع الأخرى، وجاء اللون الأصفر يحمل دلالات عميقة تستثير القارئ للوقوف عندها متأملاً إياها باحثًا عما وراءها، ومن الألفاظ التي استخدمها الحديث الشريف الدالة على الأصفر المباشر (الأصفر- صفراء- الصفرة - اصفرار - تصفر - المصفر - أصفر).

استخدم النبي ﷺ اللون الأصفر بقدرة قوية موحية إلى معانيه المقصودة لخص فيها (خروج أهل النار منها) بصورة بصرية، يقول النبي ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من كان في قلبه

(١) الألوان من السيكولوجية إلى الديكور ص (٣٠).

(٢) مبادئ التصميم واللون ص (٣٨).

(٣) اللون لعبة سيمائية ص (١٥٧).

مثقال حبة من خردل من إيمان، فيخرجون منها قد اسودوا، فيلقون في نهر الحيا، أو الحياة – شك مالك– فينبتون كما تنبت الحبة في جانب السيل، أم تر أنها تخرج صفراء ملتوية؟»[١].

فجملة «ألم تر أنها تخرج صفراء ملتوية» التي استخدمها النبي ﷺ تحتوي على اشتغال لوني عميق مكثف الدلالة، فهذه العبارة بما تحملها من كثافة في اللون الأصفر تختزن في أحشائها معان عميقة للسكون والخوف والموت والرعب واليأس والفقدان، فمنح اللون الأصفر دلالة عميقة لتوضيح نبات الخارجين من النار إذا ألقوا في نهر الحياة مختصرًا حالهم في (صفراء ملتوية)، ولعل ذلك يمثل الحالة المتردية وعلى الجهد والنكد والعذاب الذي يعيشه أهل النار.

وفي حديث آخر نجد دلالة اللون الأصفر دلالة مباشرة معروفة ومعهودة من قبل، فعن سعيد بن أبي الحسن قال: كنت عند ابن عباس ب: إذ أتاه رجل فقال: يا أبا عباس، إني إنسان، إنما معيشتي من صنعة يدي، وإني أضع هذه التصاوير. فقال ابن عباس: لا أحدثك إلا ما سمعت رسول الله ﷺ يقول: سمعته يقول: «من صوّر صورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح، وليس بنافخ فيها أبدًا». فربا الرجل ربوة شديدة واصفر وجهه...[٢].

واصفرار الوجه وكما هو معروف في لغة الجسد ينم عن هم وخوف ومرارة عند صاحبه، فيظهر الحديث محاولة وصف ما حلّ بالرجل حينما سمع قول ابن عباس ولو ظاهريا، على أن ذلك لا يخالف ما في قلبه ونفسه من ذعر وخوف، ولعل دلالة أخرى لعبارة «فربا الرجل ربوة شديدة واصفر وجهه» أي علا نَفَسهُ وضاق صدره واصفرّ وجهه خوفًا من هذا الوعيد فالصفرة في الوجه مبعث استكراه عند العرب، فهي صفرة غير مرغوب بها؛ فتكون دليل خوف وهم، وسوء

(١) ينظر: صحيح البخاري، ص (١٨)، برقم (٢٢).
(٢) ينظر: المرجع السابق، ص (٤٣٨)، برقم (٢٢٢٥).

منظر، فتكون باعثًا لعلةٍ عند صاحبها، وبهذا يكون الحديث قد قصد أنه ذعر ذعرًا شديدًا وامتلأ خوفًا أدى إلى اصفرار وجهه، فالأصفر في هذا الحديث عكس بعض خصائصه السلبية إذ دل على الهم والتوتر والخو ف والفَرَق.

نجد ذكر اللون الأصفر في حديث آخر موجود بقوة بشكل يوحي بالاستمرارية، وذلك من خلال استخدام الفعل المضارع (تصفّر)، يقول أنس بن مالك ﷺ: أن النبي ﷺ نهى عن بيع ثمر التمر حتى يزهو. فقلنا لأنس: ما زهوها؟ قال: تحمرُّ وتصفرُّ، أرأيت إن منع الله الثمرة بم تستحل مال أخيك؟![1].

تتركز الصورة في هذا الحديث على الفعل (تصفرُّ) الذي يتيح فرصة للتنويع داخل الكلام من خلال تشابكه مع اللون الأحمر في كلمة (تحمرُّ) التي توحي بالنضج والاستواء، في حين توحي الصفرة استمرارية في التلوّن وظهور الثمرة وبدء صلاحها، وتشكل معنى النماء والاكتمال؛ لمنع الغش في البيوع، وقطع النزاع والخصومة بين البائع والمشتري وهو المقصد الشرعي من هذا الحديث.

يرتبط اللون الأصفر بالأشجار والطبيعة النباتية، وذلك دلالة على قرب انتهائها وموتها، أو عدم صلاحها، ذلك أن الخضرة النباتية تعني الحياة وتقابلها الصفرة للموت والفناء، قال النبي ﷺ لما كثرت عنده الخصومة: «فإمّا لا، فلا يتبايعوا حتى يبدو صلاح الثمر». كالمشورة يشير بها لكثرة خصومتهم. وأخبرني خارجة بن زيد بن ثابت "أن زيد بن ثابت لم يكن يبيع ثمار أرضه حتى تطلع الثريا، فيتبين الأصفر من الأحمر.."[2].

وفي هذا الحديث تُنقل الثمار التي من المفترض أن تكون حمراء إلى الصفرة، وتعني الصفرة عدم النضج، تقابلها الحمرة للاستواء والنضج والصلاح.

من دلالات اللون الأصفر المرتبطة بالإنسان ودخولها على الأجساد أن

(١) ينظر: المرجع السابق، ص (٤٣٤)، برقم (٢٢٠٨).

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص (٤٣٢)، برقم (٢١٩٣).

هناك أجسادًا صفراء وسمراء وحمراء وسوداء، وقد جاء اللون الأصفر كدلالة بينة، قال عاصم: "ما ابتليت بهذا الأمر إلاّ لقولي، فذهب به إلى رسول الله ﷺ فأخبره بالذي وجد عليه امرأته، وكان ذلك الرجل مصفرًا قليل اللحم سبط الشعر، وكان الذي وجد عند أهله آدم خدلاً كثير اللحم، جعدًا قططًا، فقال رسول الله ﷺ: «اللهم بين». فوضعت شبيهًا بالرجل الذي ذكر زوجها أنه وجد عندها، فلاعن رسول الله ﷺ بينهما..."(١).

وفي الحديث بيان أن الحدود لا تثبت بالاحتمال ولا بالقرائن بل لا بدّ فيها من البينات، وقد ظهرت البينة بعد وضع الولد لدلالة اللون.

يظهر في حديث آخر كيف أن لكل لون تأثيره على النفس، فالأصفر مبهج وجاذب للانتباه، والأحمر مثير ولافت، قال أبو سعيد: "كان سقف المسجد من جريد النخل. وأمر عمر ببناء المسجد، وقال: أَكِنَّ الناس من المطر، وإياك أن تُحَمِّر أوْ تُصَفِّر، فتفتن الناس، وقال أنس: يتباهون بها، ثم لا يعْمُرونها إلا قليلاً... "(٢).

إنّ اللون الأصفر جاء بصيغة فعلية (تُصَفِّرَ)، ليؤكد معنى الفاعلية والحدث، والألفاظ التي جاء في تركيبها اللون الأصفر تحمل معنى الزخرفة والزينة حيث نُسبت الصفرة إلى بناء المسجد والتي تدل على البهرجة وربما الوصول إلى الافتتان، فبين عمر ﷺ مشروعية ترك التصفير والتحمير في بنائها لأنه قد يحمل على التباهي بها وافتتان المصلين بتلك الزخارف اللونية.

يستخدم النبي ﷺ اللون الأصفر للدلالة على القوة والسيطرة والنفوذ والغدر والتغير من حال إلى حال، وذلك في باب: ما يحْذَرُ من الغدر، قال الرسول ﷺ: «اعدد ستًا بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم موتان يأخذ فيكم

(١) ينظر: ص (١١١٦)، برقم (٥٣١٦).

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص (١٠٤)، برقم (٦٢/٦٢).

كقعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مئة دينار فيظل ساخطًا، ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفًا»[١].

يتكلم النبي ﷺ عن بني الأصفر في رمزية للمجموعة التي ينتمون إليها، وهم الروم ذلك أن الهدنة كانت خديعة منهم بأمة النبي ﷺ، فدلالة اللون الأصفر كانت رمزًا للخديعة لأنهم يفرضون قوتهم وسيطرتهم بالكذب والخداع وفي عبارة (بني الأصفر) تجسيد سيمائي مقصود، إذ يحصل تناغم بين الشكل والدلالة، وفي استخدام عبارة (تحت ثمانين غاية) و(تحت كل غاية اثنا عشر ألفًا) دلالة على الكثرة، حيث أنهم يأتون بأعداد كبيرة، وإضافة (الأصفر) إلى (بني) دلالة عميقة واضحة تدل على الخراب والغدر المقصود في تكالبهم على العرب المسالمين الآمنين.

ارتبط اللون الأصفر بدلالات كثيرة، منها دلالة الزينة والراحة والاستقرار، فيكون هذا اللون لونًا مبهجًا خفيفًا، ويغدو رمزًا إلى الهدوء الداخلي وحضور الراحة النفسية والاطمئنان، ففي حديث أنس ﷺ عُبِّر عن الحالة النفسية لعبد الرحمن بن عوف، حيث قال: قدم عبد الرحمن بن عوف المدينة، فآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصاري، وكان سعد ذا غنى، فقال: لعبد الرحمن: أقاسمك مالي نصفين... فجاء وعليه وضَرٌ من صُفَرةٍ، فقال له النبي ﷺ: «مَهْيمْ». قال: يا رسول الله، تزوجت امرأة من الأنصار، قال: «ما سقت إليها؟...»[٢].

دلالة الصفرة في هذا الحديث وما تسبقها من قرائن لها دلالات وإيحاءات تدل على الراحة والدعة والاستقرار، فارتباط الأصفر باللباس الظاهر على البدن

(١) ينظر: المرجع السابق، ص (٦٤٧)، برقم (٣١٧٦).

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص (٤٠٧-٤٠٨)، برقم (٢٠٤٩).

يبين الحالة النفسية المستقرة التي يعيشها الشخص المرتدي له، وتأتي جملة (وعليه وضرٌ من صفرة) كدلالة بصرية على أثر صفرة الطيب الذي تطيب به الرجل إذ كان عروسًا، فاللون الأصفر عمل على تجسيد الحالة النفسية المتمثلة في الهيئة والشكل، وكأن هذه الجملة تشكل مرآة وهي اللون الأصفر البهيج.

وفي حديث آخر ينْقَل اللون الأصفر ليصبح رمزًا لما يستقذر ذكره صراحة حيث يربط بالدم الخارج من الجسم نتيجة للاستحاضة، وذلك في حديث روته عائشة ك، قالت فيه: «اعتكفت مع رسول الله ﷺ امرأة من أزواجه، فكانت ترى الدم والصفرة، والطست تحتها، وهي تصلي»(١).

وفي هذا الحديث تُوجَز الصفرة في الكناية عن الاستحاضة، وهي انفجار دم في الرحم، وفيه تتساوى الصفرة بالحمرة التي هي الدم النازل بشكل مستمر غير معتاد، وكلمة ترى (الصفرة)، أي: مرّة عند قلة الدم، (والحمرة) مرّة أخرى عند كثرة الدم، وهي حالة طارئة، استدعت أن يضعوا الإناء تحتها وهي تصلي لأجل الدم حتى لا تلوث المسجد.

في حدث أبي وائل تبرز صورة جديدة من صور اللون الأصفر، حيث يقرن اللون الأصفر بالأبيض ليكتسب دلالة جديدة، يقول: "جلست مع شيبة على الكرسي في الكعبة، فقال: لقد جلس هذا المجلس عمر ﷺ، فقال: لقد هممت أن لا أدع فيها صفراء ولا بيضاء إلا قسمته. قلت: إن صاحبيك لم يفعلا! قال: هما المرآن أقتدي بهما"(٢).

في هذا الحديث همّ عمر بن الخطاب ﷺ ألاّ يترك في الكعبة صفراء ولا بيضاء أي ذهبًا ولا فضة إلاّ قسمه بين الناس، وأراد بذلك الكنز الذي بها، وهو ما كان يهدى إليها، فيدّخر ما يزيد عن الحاجة ؛ فقد كانوا في الجاهلية

(١) ينظر: المرجع السابق، ص (٧٧)، برقم (٣١٠).
(٢) ينظر: المرجع السابق، ص (٣٢٣)، برقم (١٥٩٤).

يهْدون إلى الكعبة المال تعظيمًا لها، فيجتمع فيها. وتشكل عبارة (لقد هممت أن لا أدع فيها صفراء ولا بيضاء إلا قسمته) تدليلاً عميقًا، تشكل الكناية فيها دلالة لونية، فقد اختصر عمر ﷺ ألوان (ضروب) المال باللون الأصفر الدال على الذهب والأبيض الدال على الفضة، رامزًا إلى نفاسة أموال الكعبة وكنوزعها التي تدّخر بها.

لم تكن دلالات اللون الأصفر في الحديث النبوي كلها مستحدثة، وإنما كانت هناك دلالات تقليدية مستوحاة من التراث والعُرف والثقافة، ومن هذه الدلالات التي استخدمها النبي ﷺ كما هي دون تغيير فيها دلالة الصُفرَة وهي أثر الطيب، قال عطاء: حدثني صفوان بن يعلى عن أبيه: "أن رجلاً أتى النبي ﷺ وهو بالجعرانة، وعليه جبة، وعليه أثر الخلوق، أو قال: صفرة... فلما سرّي عنه. قال: «أين السائل عن العمرة؟ اخلع عنك الجبة، واغسل أثر الخلوق عنك، وأنْقِ الصُّفرة، واصنع في عمرتك كما تصنع في حجك» "(١).

أراد النبي ﷺ تبيان محظورات العمرة والحج، وهي: اجتناب الطيب، وعدم لبس المخيط، فأمر الرجل بإزالة الطيب عن بدنه وثوبه، وأمره بخلع الجبة لأنها مخيط. ويقصد النبي ﷺ بالصُّفرة رائحة الزعفران، ويعزز هذا المعنى السائد عند الناس من خلال مجموعة كلمات تمثل اقترانات تدل عليه: (متضمخ بالخلوق- أما الطيب الذي بك- اغسل أثر الخلوق- وعليه أثر الخلوق- أنقِ الصفرة)، والخلوق نوع من الطيب يركب فيه زعفران، وقيل: أعظم أجزائه الزعفران، فالمراد بأثر الصفرة: رائحة الزعفران، ولذلك قال النبي ﷺ: «اغسل عنك أثر الصُّفرة» في رواية أخرى، وفي هذا الحديث قال ﷺ: «أنقِ الصُّفرة» وهذا من المبالغة في الإزالة، ويحتمل لأن الطيب كان كثيرًا يحتاج إلى تكرار في إزالته، ويؤيده لفظة (متمضخ بالخلوق)، وبذا فإن النبي ﷺ لم يخرج باللون عن دلالته المعهودة.

(١) ينظر: المرجع السابق، ص (٣٥٧)، برقم (١٧٨٩).

وفي حديث زينب نجد ذِكر اللون الأصفر بالدلالة التقليدية ذاتها، وهذا يدعم المقصد السابق، قالت زينب: دخلت على أم حبيبة زوج النبي ﷺ حين توفي أبوها أبو سفيان بن حرب، فدعت أم حبيبة بطيب فيه صُفرة خلوق أو غيره، فدهنت منه جارية ثم مست بعارضيها، ثم قالت: "والله ما لي بالطيب من حاجة، غير أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحدّ على ميت فوق ثلاث ليالٍ...»"(١).

أرادت أم حبيبة بقولها: "ما لي بالطيب من حاجة" أنها لم ترد وضعه؛ وإنما فعلت ذلك لأن النبي ﷺ نهى المرأة أن تحدّ على غير زوجها فوق ثلاثة أيام؛ فلذلك أرادت أن تنهي حدادها على أبيها بوضع الطيب امتثالاً لقوله ﷺ، فصرَّحت بأنها لم تتطيب لحاجة، إشارة إلى أن آثار الحزن باقية عندها، لكنها لم يسعها إلا امتثال الأمر واجتناب النهي.

فالدلالة للصفرة في هذا الحديث (طيب فيه صفرة) هي الدلالة المتعارف عليها، وقد استخدمت كما هي دون تغيير.

يأتي اللون الأصفر بدلالة جمالية على المصبوغ والملبوس من الثياب، في حديث عبد الله بن يوسف، يتحدث عن عبد الله بن عمر ﷺ عن اتباعه سنّة النبي ﷺ واهتمامه الشديد بذلك في كل أمور حياته وفي عباداته، روى عن عبيد بن جُريج: أنه قال لعبد الله بن عمر: "يا أبا عبد الرحمن، رأيتك تصنع أربعًا لم أرَ أحدًا من أصحابك يصنعها؟ قال: وما هي يا ابن جريج ؟ قال: رأيتك لا تمس من الأركان إلا اليمانين، ورأيتك تلبس النعال السبتية، ورأيتك تصبغ بالصفرة... وأما الصفرة فإني رأيت رسول الله ﷺ يصبغ بها، فأنا أحب أن أصبغ بها..."(٢).

كرر ابن عمر مفردة (يصبغ – اصبغ) في هذا الحديث مرتين؛ وذلك

(١) ينظر: المرجع السابق، ص (١١١٩)، برقم (٥٣٣٤).

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص (٥٠-٥١)، برقم (١٦٦).

لتعميق الدلالة وتأكيدها، وتتعمق عبارة (إني رأيت رسول الله ﷺ يصبغ بها) في تشكيل المعنى الدلالي لتؤكد أنه يفعل هذه الأفعال كما فعلها النبي ﷺ؛ فإنه رأى النبي يصبغ بالصفرة، فأحبّ أن يفعل مثله، وهذا يحتمل صبغ ثيابه، يقول: "رأيت رسول الله ﷺ يصبغ بها –أي الصفرة– ولم يكن شيء أحبَّ إليه منها، وقد كان يصبغ بها ثيابه كلّها حتى عمامته" وكان أكثر الصحابة والتابعين ي يخضب شعر رأسه ولحيته بالصفرة، هي الورس، وهو نبت يشبه الزعفران وقد يخلط به للتجمّل والتطيب، وفي ذلك دلالة واضحة على أن للون الأصفر دلالة جمال وبهاء وزينة.

من دلالات اللون الأصفر الجمالية في اللباس حديث أم خالد وفيه قالت: أتيت رسول الله ﷺ مع أبي وعلي قميص أصفر، قال رسول الله ﷺ: "سنه سنه". قال عبد الله: وهي بالحبيشة حسنة... ثم قال رسول الله ﷺ: «أبلي وأخلفي، ثم أبلي وأخلفي، ثم أبلي وأخلفي»[1].

في هذا الحديث جاء اللون الأصفر بدلالة السعادة والحياة الهنية، ويؤكد هذا المعنى قول الرسول ﷺ «أبلي وأخلفِي» وتكراره هذا الدعاء ثلاثًا، أي: البسي وعيشي إلى أن يصير ما تلبسينه خَلَقًا باليا، وهو دعاء من رسول الله ﷺ لها إذ لبست ثوبًا جديدًا. ويخبر عبد الله بن المبارك أن أم خالد ك عاشت عمرًا طويلاً، ببركة دعاء النبي ﷺ، وقيل: فبقي القميص زمنًا طويلاً، حتى ذكر الناس ذلك؛ لخروجه في البقاء عمّا جرت به العادة. وكان العرب في السابق يصبغون ملابسهم باللون الأصفر، ويطلقون على الثوب الذي يبدو أصفر لامع (الثوب المهرّي) أي المصبوغ بالصفرة، وكانت السادة من العرب تلبس العمائم المهراة وهي الصفرة لأنها باعثة على التفاؤل والبهجة والحياة المريحة وذلك لأثرها الجمالي والإيجابي، وهذا الذي قصده النبي ﷺ بقوله «سنه سنه» ؛ أي حسنة،

(١) ينظر: المرجع السابق، ص (٦٢٢–٦٢٣)، برقم (٣٠٧١).

وفيه دلالة الحُسن في هذا اللون.

ب- الأصفر غير الصريح في الحديث النبوي:

لم يقتصر اللون الأصفر في الحديث النبوي على ذكر الأصفر الصريح اللفظ، إنما تعداه إلى ألفاظ أخرى توحي إلى اللون الأصفر تحمل في طياتها دلالات عميقة تدل على ما يدل عليه اللون الأصفر وزيادة، مما يعمق ويؤكد المقصود من الكلام النبوي، ومن هذه الألفاظ التي استخدمها النبي ﷺ، لفظ (الزعفران)، وقد استخدمها أكثر من مرّة (زعفران – المزعفرة– الزعفران)، قال ﷺ عندما سأله رجل، ما يلبس المحرم من الثياب؟: «لا يلبس القمص ولا العمائم، ولا السراويلات، ولا البرانس، ولا الخفاف... ولا تلبسوا من الثياب شيئًا مسّه الزعفران، أو الورس»[(١)].

يحدد النبي ﷺ في هذا الحديث ما لا يلبس المحرم من الثياب، على أن السائل سأل النبي ﷺ عما يلبسه المحرم من الثياب، فأجابه النبي ﷺ بما يحرم على المحرم لبسه؛ لأنه أقل، وما بقي فجائز من الألبسة، وهذا من جوامع الكلمة وبلاغة النبي ﷺ وحسن جوابه. ومما يحرم لبسه الثياب التي مسّها شيء من الزعفران، أي الثياب المطيبة بزعفران أو التي صُبِغت بالزعفران، والزعفران زهر نبتٍ أصفر يصْبغ به ويوضع في بعض الأشربة والأطعمة فيكسبها لونًا جميلاً وطعمًا لذيذًا، وهو من أنواع الطيب، ويقاس عليه أنواع الطيب الأخرى كالورس، فالنبي ﷺ استخدم لفظة (الزعفران) للدلالة على هذا النبات الأصفر، طيب الرائحة، والتأكيد على أنه من أنواع الطيب التي تحرم على المحرم أكلاً وشربًا ولباسًا.

ويقول ﷺ في حديث آخر مستخدمًا لفظة (مزعفرة) في حديث عبد الله بن عباس: "انطلق النبي ﷺ من المدينة، بعدما ترجل وادهن، ولبس إزاره ورداءه، هو

(١) ينظر: المرجع السابق، ص (٣١٢-٣١٣)، برقم (١٥٤٢).

وأصحابه، فلم ينه عن شيء من الأردية والأزر تلبس، إلاّ المزعفرة التي تردع على الجلد..."[١].

بين النبي ﷺ في هذا الحديث أحكام الحج العمرة وسننها وآدابهما بالقول والفعل، فقد خرج من المدينة متوجهًا إلى مكة بعدما سرّح شعره، وتطيب بالمسك، ولبس ثيابه، فلم ينه عن شيء من اللباس إلاّ الملابس المصبوغة بالزعفران التي تؤثر في بدن لابسها بلونها أو ريحها. واستخدم النبي ﷺ (المزعفرة) للدلالة على الثياب الصفراء التي صبغت بالزعفران أو العصفر وهو نبات أصفر طيب الرائحة يستعمل طيبًا في الزمن السابق ويصبغ به، وفيه دليل على منع المحرم من الثياب المطيبة بزعفران. وقد يكون التزعفر في البدن أو اللباس، والتزعفر المنهي عنه يشمل التزعفر في البدن والتزعفر في اللباس (المزعفرة التي تردع على الجلد)، أي لكثرة ما فيها تلصق الأثر على الجلد.

يبرز النبي ﷺ للون الأصفر معاني قديمة جديدة، ومن هذه المعاني التي أبرزها النبي ﷺ معنى الشفاء، يبرزه من خلال لفظ مواز للأصفر وهو التراب، قالت السيدة عائشة ك عن النبي ﷺ: "أن النبي ﷺ كان يقول للمريض": «بسم الله، تربة أرضنا، بريقة بعضنا، يشفى سقيمنا، بإذن ربنا»[٢].

فالنبي ﷺ في ثنايا حديثه عن الاستشفاء للمريض، يشرك فيه اللون الأصفر من بوابة لفظ (التربة)، فالنبي ﷺ يطرح الأصفر أو التراب بوصفه رقية لمن يشتكي علة من العلل كالقروح والجروح وغيرها، باعتبار أن التربة هي أصل الإنسان الأول، أي: آدم عليه السلام، وأن الريق هو بعض من الإنسان بمثابة النطفة، بمنزلة النطفة، فهذا مع هذا مع هذا الذكر يحصل به الشفاء بإذن الله. ينقل النبي ﷺ فضاء الرقية إلى منعطف آخر قلمّا يستخدم في الطب النبوي،

(١) ينظر: المرجع السابق، ص (٣١٣)، برقم (١٥٤٥).

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص (١١٩١)، برقم (٥٧٤٥).

وذلك من خلال ربطه بين التربة والريق، واستخدامه لما يستقبل من الزمن، فقد استخدم الفعل المضارع (يشفى)، فالصورة في هذا الخطاب النبوي تنهض على آلية تشكيل الطب النبوي يدفع اللون الأصفر بواسطة التراب إلى بلوغ درجات عالية من الدلالية السيمائية وإن لم نعقل وجه الترابط بين التربة والريق، فهذا من الرّقى، والرقى ما يدرك كل ما جاء فيها: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم: ٣، ٤].

يجمع النبي ﷺ في حديثين آخرين بين إبرازتين للون الأصفر، قال جابر بن عبد الله ﷺ: "نهى النبي ﷺ أن تباع الثمرة حتى تُشَقِّحَ، فقيل: ما تَشقِّح؟ قال: «تَحْمَارُّ وتَصْفَارُ ويؤكل منها»"(١)، وحدّث أنس بن مالك ﷺ، عن النبي ﷺ: "أنه نهى عن بيع الثمرة حتى يبدو صلاحها، وعن النخل حتى يزهو. قيل: وما يزهو؟ قال: «يحْمَارُّ أو يصْفارُّ»"(٢).

يكتسب اللون الأصفر في هذين الحديثين طاقة تشكيلية وسيمائية مضاعفة من خلال اتصال الأصفر والأحمر ببعضهما البعض الدال عليهما (تشقح، يزهو) لتشكل صورة بصرية منفتحة على دلالات عميقة، فارتباط (تشقح وتزهو) يوحي بصورة حسية تدل على البداية والنضج والصلاح، وقد أحال النبي ﷺ على اللون؛ لأن اللون دليل الصلاح، وهنا نجد تحولاً زمانيا يوحي إليه (تقشح – تزهو) ليصور ابتداء الإزهاء عبر دلالة اللون التي تعطي اللفظ دلالة أعمق وأكبر، حيث أن بدوّ صلاح الثمر باصفراره أو احمراره.

ورد في الحديث الشريف لفظًا يوحي بالصفرة دالاً على الخير والنعمة، فقد استخدم (الحنطة) وهي القمح لإثبات الخير في موضعه، قال أبو المُجالد: "بعثني عبد الله بن شداد وأبو بردة إلى.... فقالا: سله، هل كان أصحاب

(١) ينظر: المرجع السابق، ص (٤٣٣)، برقم (٢١٩٥).

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص (٤٣٣)، برقم (٢١٩٧).

النبي ﷺ في عهد النبي ﷺ يسْلِفُون في الحنطة؟ قال عبد الله: كنا نسلف نبيط أهل الشام في الحنطة والشعير والزيت..."[1].

يشكل القمح في هذا الحديث مصدرًا للخير، ويبرز إيجابية للون الأصفر لارتباطه بالخير المرتبط بالخصب والوفرة، حيث يمنح الحياة ويشكل رمزًا له، ولذلك كان المسلمون على عهد النبي ﷺ يسلفون نبيط أهل الشام في الحنطة والشعير والزيت، يعني يشترون منهم هذه الأصناف ويحددون الكيل والميعاد الذي يستلمون فيه هذه الأشياء، وهذا من التيسير على الناس في تعاملاتهم ومعاشهم وحياتهم، وفي الحديث إشارة إلى أن القمح نظير الحياة وأحد مقوّماتها؛ ذلك أن الله تعالى جعل القمح لبني البشر غذاءً كاملاً لا غنى لهم عنه في حياتهم.

(١) ينظر: المرجع السابق، ص (٤٤١-٤٤٢)، برقم (٢٢٤، ٢٢٤٥).

المبحث الثالث

اللون الأزرق

١- اللون الأزرق دلاليا:

اللون الأزرق متعدد الدلالات والدرجات، فهو يعتبر أكثر الألوان عمقا، فيه يغور النظر، فلا يعترضه عائق، وكأنه أمام أفق للون بلا حدود، وإنه اللون الأكثر بعدا عن المادة بين الألوان، فتمثله الطبيعة شفافا(١).

جاء في معجم لسان العرب في مادة زرق فقال: "التهذيب: الزرقة في العين، تقول زَرِقَت عينه، بالكسر تزرق زرقا، ابن سيده: الزرقة البياض حيثما كان؛ والزرقة خضرة في سواد العين، وقيل: هو أن يتغشى سوادَها بياضٌ، زرق زرقا فهو أزرق وأزرقي(٢)"، وهنا نجد لسان العرب وقد نقل عن التهذيب والمخصص أن اللون الأزرق لم تكن دلالته قديما هي الدلالة والشكل المعروف عندنا، وإنما طرأ عليه تغير دلالي، ويدعم هذا القول أحمد مختار عندما قال في كتابه اللغة واللون: "الزرقة من الألوان غير المحددة عند العرب، فهي عندهم البياض، وهي الخضرة، وهي الصفرة، وهي الكدرة، وهو اللون الضارب إلى الحمرة، ومن أجل هذا لم يرد لفظ الأزرق إلا في تعبيرات قليلة(٣) وعلى الرغم من التغير الدلالي إلا أن الأصل والفرع يتفقان في الإطار العام وهو الزرقة، ولهذا قل استخدام اللون الأزرق في موروثنا الشعري العربي مقارنة بغيره من الألوان، فمثلا في الشعر الجاهلي ورد أكثر من ألف بيت شعري يحتوي على الألوان كان نصيب الأزرق ثلاثة عشر بيتا فقط(٤) فلم يهتم به العلماء في القدم، ولم يصنفوا درجاته كما الألوان الأخرى، فقالوا الأزرق، وبه قصدوا على كل درجاته دون

---

(١) اللون في الشعر الأندلسي ص (٢٧٦) .

(٢) لسان العرب ص (١٨٢٧) .

(٣) اللغة واللون ص (٧٨).

(٤) اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي ص (١٠٦).

تمييزها.

يملأ اللون الأزرق فضاء حياتنا، فهو غالبا ما يتصل في الطبيعة بعالم السماء وعالم الأرض، فالسماء زرقاء، ومعظم الأرض ماء، وعلى الرغم من هذا فإن لون المياه الزرقاء يكون سببه انعكاس لون السماء الزرقاء على لون الماء الشفاف فيكتسب لونه، والأزرق لون بارد للغاية يتميز بالتعبير عن البرودة الشديدة والصقيع، فهو اللون الذي يغطي معظم الكرة الأرضية من فوقها ومن أسفل منها، وقلما نجد اللون الأزرق في غير الماء والسماء.

دلاليا اللون الازرق لون جاد حساس، محافظ إلى حد كبير، ويعتبر رمزا للمعاني المطلقة ولذلك فهو يشير إلى حب الحياة وللمساحات الواسعة والتأمل[١]، ويوصف هذا اللون بأنه لون النفوس الحساسة المحبة المخلصة والصريحة والصادقة، ويميل محبوه للصداقة الدائمة، ويدل على درجة من برودة الأعصاب وعدم الحزم والقوة[٢].

يوصف اللون الأزرق أنه لون النظر والشعور الديني، فإذا لطخ بالأنانية يتغير إلى نيلي غامق، وكلما سمت العواطف وارتفعت يزداد غنى اللون، أما إذا كان الأزرق فاتحا فهو يعكس الروحانية، كلما ارتفع المرء سموا تألق اللون وامتلأت الهالة بالنور[٣].

ومن الناحية الفسيولوجية يعتبر اللون الأزرق هو العلاج الأنجح بين الألوان، فهو يخفف الألم، بالإضافة إلى أنه مضاد للالتهاب، مسكن ومنشط، ويعمل هذا اللون على توليد مناخا من السكينة والانفتاح، ويعمل على القضاء على التوتر، وارتفاع ضغط الدم، وينصح باللجوء إلى اللون الأزرق لمن يعاني من الصداع وأوجاع الرأس والربو، ويساعد على الهدوء النفسي ويسهم في سرعة

(١) فلسفة الألوان ص (١٠٠).

(٢) ينظر: الالوان من السيكولوجية إلى الديكور ص (٤٥).

(٣) ينظر: تأثير العطور والألوان على نفسية الإنسان ص (١٦٠).

النقاهة من الأمراض[١]، وكذلك يستخدم في علاج الأمراض الروماتيزمية وتصلب الشرايين، ويؤدي إلى الاسترخاء، ويساعد على تخفيف آلام القرح والظهر، وعلاج الحمى والنزيف، وهو كذلك مضاد للهياج الجنسي[٢]، حيث يوصف الأزرق أنه مضاد للون الأحمر.

تتمحور عدة معان حول اللون الأزرق تحمل في طياتها دلالات سيميائية تدل على الصدق والحكمة والأمل وصفاء السريرة، ويوحي بالسلام، ويحمل دلالات مناقضة، فيدل على روح اليأس وأحيانا الموت[٣]، وهو بهذا يوحي باشتغال سيميائي غزير ومكثف.

٢- اللون الأزرق في الحديث النبوي:

أ- الأزرق الصريح في الحديث النبوي:

غاب اللون الأزرق الصريح عن الحديث النبوي، وغيابه كان مستجلبًا للاهتمام، ولعل السبب هو ندرة هذا اللون في الطبيعة، وتكاد الصبغيات الزرقاء أن تكون معدومة وتفتقر لها الحيوانات والنباتات، فنكاد لا نجد مخلوقات زرقاء، عدا السماء والبحر، ونحن نراهما أزرقين: لأن الضوء القادم من الشمس لا ينبعث بشكل متجانس وإنما يتشتت إلى اتجاهات عديدة عندما يصطدم بجسيمات الغاز في الغلاف الجوّي وبجزيئات الماء في البحر. كلما كانت طاقة الموجة الضوئية أكبر فإن تبعثر الضوء يكون أكثر. تحمل الأمواج الزرقاء، من بين ألوان الضوء المرئي المقدار الأكبر من الطاقة؛ الأمر الذي يجعل تبعثرها من بين سائر الألوان هو الأكبر، وتصل إلى أعيننا كميات وافرة من الضوء الأزرق، قادمة من الجو والبحر أكثر من الألوان الأخرى.

غالبية الألوان الزرقاء التي نصادفها في عالم الكائنات الحية والنباتات

(١) ينظر: المرجع السابق ص (١٢٤ – ١٣٣).

(٢) ينظر: الألوان من السيكولوجية إلى الديكور ص (٤٩).

(٣) اللون لعبة سيميائية ص (١٥٠).

"ألوان فيزيائية" تنجم عن عامل فيزيائي يؤثر في الأمواج الضوئية وليس عن طريق الصبغيات. ذلك يعني أن هذه الألوان تنجم عن مبنى المادة التي يؤدّي إلى انعكاس أمواج الضوء الزرقاء علينا، دون أن تمتص جسيماتها أيا من أمواج الضوء المرئي، وهي لا تنجم عن وجود المواد التي تمتص غالبية أمواج الضوء المرئي وتبعثر الأمواج الزرقاء، وهذا العامل يؤثر في السماء والبحر أيضًا عن طريق تبعثر الأمواج الزرقاء أكثر من غيرها، هذا من الناحية الفيزيائية أمّا من ناحية مفهوم اللون الأزرق، فقد تغير مفهومه عبر العصور فما ندركه اليوم ونصطلح عليه باللون (الأزرق) لم يكن نفس المعنى، ولا له نفس المدلول قديمًا، فالأزرق عند عرب الجاهلية مصدر الإسلام يوصف به كل شيء (شديد الصفاء)، كنصل الرمح (قد نصفه اليوم بالرمادي) والماء الشفيف والعين الواضحة، والعين الزرقاء بمفهوم القدماء هي التي يعتري سوادها شيء من البياض أو الخضرة لا كما توهم كثير من الشارحين لدواوين الجاهليين أنه اللون المعروف اليوم، وربما سميت زرقاء اليمامة بذلك لزرقة في عينيها أو ربما لصفائهما وحدة بصرها.

مدلول (الأزرق) عند قدماء العرب يتراوح بين الشفّاف والأبيض والأخضر والرمادي، ورد في لسان العرب: "الزرقة البياض حيثما كان، والزرقة: خضرة في سواد العين"، أما عن لون الماء فقال: "الماء يكون أزرق ويكون أَسْجَرَ ويكون أخضر ويكون أبيض"(١).

ولا يفهم بالتحديد ما يعنيه بأزرق هنا وربما قصد أن يقول (شفّاف) بلغة العصر.

وهذه المعضلة ليست جديدة على المطلعين بأسرار اللسانيات، فعلماء اللغة أشاروا منذ مدة غير يسيرة أن اللغات القديمة مثل الصينية والإغريقية والعبرية لا

(١) ينظر: لسان العرب.

تعرف شيئًا اسمه اللون (الأزرق). شاعر الأوديسة مثلاً يصف البحر بأنه "داكن كالخمر"، ولم يرد ذكر اللون الأزرق في التوراة مطلقًا.

بعض العلماء يعتقدون أن القدماء لم يلحظوا اللون الأزرق ولم يروه، فالعين ترى ما يدركه الذهن أي ما يوجد له اسم في اللغة.

والجدير بالملاحظة أيضًا أن كثير من العرب خاصة الأميين في عصرنا، لا يفرقون بين اللونين الأزرق والأخضر، فكلٌّ أخضر، أو كلٌّ أزرق، شأنهم في ذلك كشأن كثير من ساكني البسيطة.

وفي لغة الأسلاف تلتصق صفة الأزرق بالرمح خاصة، يقول امرؤ القيس واصفًا الرماح متهكمًا على غريمه المخدوع المتوثب للثأر:

أيقتلنـــي والمشـــرفي مضـــاجعي * ومســـنونة زرق كأنيـــاب أغـــوالِ**

والمزراق اسم لرمح قصير، ومنه اللقب الشائع في بعض أصقاع المغرب العربي (بومزراق)، ومع تطور الحضارة العربية الإسلامية واتصالها بما جاورها من حضارات بالتجارة وانتقال المعارف والعلوم في المجالات المختلفة، وباتساع الأسواق لتشتمل على شتى أنواع الجواهر والأحجار الكريمة من لازورد وعقيق وزمرد وياقوت وبهرمان واسما نجوني وغيرها والحرير بأصباغه الزاهية المختلفة، وكل ما عرفه العالم القديم من منتوجات اقتناها الأثرياء كما تفننوا في تزيين بيوتهم بالحدائق التي عبقت بأصناف الزهر وألوان الورد الشتى، تطور مدلول (الأزرق) الذي كان أقرب إلى التعبير عن حالة منه إلى التدليل على لون محدد، فمعناه (الشفيف) أو (الصافي) يوصف به الماء والفولاذ معًا وانتقل إلى شيء أو مدلول آخر نستشفه من كتابات العصر العباسي وأصقاع المغرب والأندلس في تلكم الفترة فنحن عندما نقرأ قول الشاعر الأندلسي:

يســـفرُ لليـــاقوت عـــن حمـــرةٍ * وإن رنـــا عـــن زرقـــةٍ فيـــه**

نخال أنه يعني لونًا ما داكنًا كما أن الأحمر داكن وربما يقاربه في ذلك أو يستعير ظلاً من ظلاله، وقد تعني الزرقة التي عناها تلك الحالة التي عرفها

الأوائل أنها اختلاط سواد العين بشيء من البياض، ونقرأ أبيات المحسن بن علي التنوخي البصري (ت ٣٨٤هـ- ٩٩٤م):

كأنمـــــا نجومُهـــــا * نصـــــبَ عيـــــونِ الرُّمَّـــــقِ**

دراهـــم قـــد نُثِـــرتْ * علـــــــى بســـــــاطٍ أزرقِ**

فنحتار بين زرقة الصفاء ولون سماوي ليلي حالك يشبه بساطًا أزرق والبساط لا يكون بلون الماء ولا الفولاذ حتمًا، إنما يخيل إلينا لون من ألوان الفرش الزاهية التي زينت الدور، لكن اللون المقصود ليس بلون السماء في وضح النهار، ثم يصف علي بن الحسين الحسن العقيلي (ت ٤٥٠هـ - ١٠٥٨م) البنفسخ بالزرقة:

وقـــدْ تبـــدّى أزرقُ البنفســـجِ * كـــالقرصِ فـــي خـــدٍّ غزيـــرِ غـــنجِ**

يقصد الشاعر بـ (أزرق) ما نصطلح عليه اليوم بلون البنفسج أو البنفسجي، وهي زرقة تشوبها حمرة.

أما قول ابن سهل الأندلسي (ت ٦٤٩هـ - ١٢٥١م):

ولازوردٍ بـــــاهر نَـــــورُه * مســـتظرف الأوراقِ مستحســـنِ**

كأنـــه مـــن حســـنِ مـــرآه قـــد * ذابـــت عليـــه زُرقَـــةُ الأعـــينِ**

فمن الصعب أن نفهم منه أن زرقة الأعين تعني أن بياضها يخالط شيئًا من سوادها كما كان اللفظ يعني أيام الجاهلية وفي صدر الإسلام، ومن المتعذر أن يفهم أنه يقصد إلى لون البنفسج فالازورد حجر في زرقة السماء، والأندلس بلد تكثر العيون الزرق في نواحيه، فلا بد أن الأزرق هو هو لون السماء الأزرق الذي نعرفه اليوم.

وفي كتاب نخبة الدهر في عجائب البر والبحر لمؤلفه شمس الدين الشيرازي (ت ٧٢٧هـ- ١٣٢٧م): "وكذلك الياقوت الأزرق الاسْمَانْجُونِي الشبيه لونه بلون السوسن الأزرق ومعنى الاسْمَانْجُونِي الذي تشوب زرقته حمرة كما

يكون في لون رقاب بعض الحمام الأزرق من التطويس وفي ثياب المرزوي الذي سداها أزرق ولحمتها حمراء كما يكون في بعض ريش الطاووس من مثل هذا اللون".

وهنا نعلم من الأمثلة التي ضربها أنه يعني ما نعنيه بالأزرق على وجه اليقين لا الظن، وقد تكون كلمة اسما نجوني آرامية أو فارسية ما يعني أن تلك الحضارات عرفت اللون الأزرق أو نوعًا منه قبل العرب بأحقاب.

لقد عرفت كلمة (الأزرق) تطورًا ملحوظًا في الدلالة عبر عصورنا العربية فمن صفاء الماء والفولاذ، الأبيض أو الأخضر والرمادي إلى الأزرق الليلي فالبنفسجي أو الأرجواني ثم إلى الأزرق كما نعرفه اليوم، لذا وجب الانتباه وتبين مدلول اللفظ في النصوص المختلفة حسب موقعها من التدرج الزمني أو الجغرافي، ولقد وقع كثير من شارحي النصوص القديمة خاصة دواوين الشعر في اللبس والغلط ففسروا اللفظ بمقتضى مفهوم الحاضر لأنهم لم يتكلفوا عناء البحث ولم ينتبهوا إلى ضرورة التبين الحاصل في معنى الكلمة.

ولأن معظم الدراسات اللغوية والإنثروبولوجية والأبستمولوجية تذهب إلى أن اللون الأزرق لم يكن معروفًا في اللغات القديمة فلم نجده في اللغة الهوميرسية في الإلياذة والأوديسة، ولم نحصل عليه في الفيدا الهندية وفي الكتب المقدسة، ولا في القرآن عدا موضع واحد يقول فيه الله تعالى: ﴿وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا﴾ [طه: ١٠٢]، لم نجد له ذكرًا في أحاديث الرسول ﷺ، وبذلك فإن غياب اللون الأزرق يشكل دلالة في ذاتها.

ب- الأزرق غير الصريح في الحديث النبوي:

لم يكثر الحديث النبوي من المفردات الدالة على الأزرق غير المباشر، فقد حصر السياق الألفاظ الدالة على الأزرق غير المباشر في (السماء).

يدعو النبي ﷺ ربه في هذا الحديث ليضفي على دعائِه اللون الأزرق، الذي يبرز من خلال زرقة السماء، قال أنس بن مالك: "كان النبي ﷺ يخطب يوم جمعة، فقام الناس فصاحوا، فقالوا: يا رسول الله، قحط المطر، واحمرّت

الشجر، وهلكت البهائم، فادع الله يسقينا. قال: «اللهم اسقنا». مرتين، وأيم الله، ما نرى في السماء قزعة من سحاب، فنشأت سحابة وأمطرت..."[1].

السماء الزرقاء ترتبط عادة بالمطر والخير والوفرة، وهنا ترمز إلى القحط والجدب والخير المفقود المستمد من السياق (ما نرى في السماء قزعة من سحاب) أي قطعة غيم، لكنه ثار بعد دعاء النبي ﷺ (فثار السحاب أمثال الجبال) أي هاج وانتشر سحاب عظيم في السماء، ثم لم ينزل ﷺ عن منبره وكاد ينتهي من الدعاء حتى نزل المطر الغزير (يتحادر) وينزل ويقطر من لحيته ﷺ، وظل المطر ينزل كل يوم إلى الجمعة التالية وهو علامة من علامات نبوته ﷺ. فـ (يتحادر) هنا ترمز إلى المطر الغزير والخير الوفير والجَوْد، وكأن سياق هذا الحديث جمع بين السماء والسحاب، وكلاهما يرمز إلى الخير والسَعَة، المستمدان من وجود النبي ﷺ، وكانت المدينة المنور تتمتع بهما سابقًا، ولا تزال حتى اليوم.

يستدعي النبي ﷺ بعدًا دلاليا جديدًا من خلال اللون الأزرق، حيث يستدعيه من خلال لفظ (البحر) فيظهر في رؤيا منامه ﷺ ليعبّره وفق ما يقتضيه علمه، قال أنس بن مالك ﷺ: "كان رسول الله ﷺ يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت.. فنام رسول الله ﷺ ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلت: وما يضحكك يا رسول الله ؟ قال: «ناس من أمتي، عرضوا علي غزاة في سبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر ملوكًا على الأسرة، أو مثل الملوك على الأسرة...»[2].

ذكر النبي ﷺ لفظ (البحر) في هذا الحديث ليدلل على صدق رؤيا الأنبياء، فرؤيا الأنبياء حق ووحي من الله سبحانه وتعالى، يرمز النبي ﷺ من خلال (يركبون ثبج هذا البحر) – أي وسطه وظهره – وأنهم يجلسون عليه

(١) ينظر: المرجع السابق، ص (٢٠٨)، برقم (١٠٢١).

(٢) ينظر: صحيح البخاري، ص (٥٦٩)، برقم (٢٧٨٨، ٢٧٨٩).

كالملوك إلى عدم مبالاتهم في ركوبهم البحر في سبيل الله تعالى بشيء، وفيه إشارة إلى منازلهم في الجنة وأنهم على سرر متقابلين. فيرمز عبر صورة (ملوكًا على الأسرة)، أي كأنهم مثل الملوك على أسرتهم، إلى اتساع السفن التي يركبونها، وهو رمز لاتساع ملك أمته حتى يركبوا غزاة في البحر، فيعبروا منه إلى البلاد التي وراءه، فيفتحونها، وفيه علامة من علامات نبوته ﷺ وإخباره بما ستكون عليه أمته في المستقبل.

المبحث الرابع

اللون الأخضر

١- اللون الأخضر دلاليا:

اللون الأخضر من الألوان الثانوية حسب التقسيمات اللونية، ولكنه من الألوان الأساسية على المستويات التشكيلية والإبداعية، وله أهمية واسعة في الاستخدام الأدبي والفني، وقد اعتنى به الأدباء منذ القدم وحتى يومنا هذا لما يحمل من دلالات فائقة.

جاء في معجم لسان العرب في مادة (خضر) "الخضرة من الألوان: لون الأخضر، يكون ذلك في الحيوان والنبات وغيرهما مما يقبله، وحكاه ابن الأعرابي في الماء أيضا، وقد اخضر، وهو أخضر وخضور وخضر وخضير ويخضير ويخضور، واليخضور الأخضر "[١].

وقد فصّل صاحب الملمع في درجات الخضرة وتصنيفاتها، فأورد: أخضر ناضر، وأخضر باقل، وأخضر حانئ وهو الشديد الخضرة، وأخضر زاهر، وأخضر مُدهام ومنه قوله تعالى: ﴿ عم ﴾ [الرحمن ٦٤]، وإذا كانت الأرض خضراء فهي مُحْلسَة ومُستَحْلِسَة، فإذا تفرقت الخضرة ها هنا وها هنا فهي نُفَا[٢]، والأخاضر هي الذهب واللحم والخمر[٣]، ويتصدر وجود اللون الأخضر في الطبيعة فهو لون الأشجار والنبات وثمارها قبل نضجها، ولون لبعضها عند نضجها، ولون الربيع، وهو لون الطحالب المائية المعروفة بشكلها المشهور، وكذلك لون بعض الأحجار الكريمة كالزمرد والزبرجد، وللأخضر جذور في تراثنا العربي الإسلامي ولهذا نجده من أكثر الألوان شيوعا في أعلام الدول العربية، فللون الأخضر أهمية قصوى في حياتنا.

---

(١) لسان العرب ص (١١٨١) .

(٢) ينظر: الملمع ص (١٠١ – ١٠٢).

(٣) اللغة واللون ص (٨٠).

يتصف اللون الأخضر بأنه لون ناعم منشط وودود في نشر جو السكينة والتوازن والتكيف، وكذلك أنه لون متفاهم وسمح يدعو للثقة، وهو لون حساس ولون الطبيعة؛ فيضفي الراحة والسكون على النفس، ويساعد على الصبر ويعبر عن النمو والعطاء[١]، ويذكر أحمد مختار دلالات للون الأخضر، فيقول: إن اللون الأخضر "يرتبط بمعاني الدفاع والمحافظة على النفس، فهو إلى السلبية أقرب منه إلى الإيجابية، كما أنه يمثل التجدد والنمو والأيام الحافلة للشبان الأغرار، إنه لون الطبيعة الخصبة، رغم أنه نادرا ما يكون هو المسيطر في الجو[٢] فهو لون الخصب والرزق والنماء.

يتميز الشخص المحب للون الأخضر أنه عاطفي يحب خدمة الآخرين ويحب الهدوء، ويتميز بطبيعة لطيفة هادئة، يغلب عليه الحلم، اجتماعي دائم الفخر بنفسه[٣]، وهو شخص يحب التفرج على الآخرين أكثر من المشاركة في الأحداث[٤]، ومن يرفض الأخضر يعاني من القلق والتلهف على تحرير النفس من التوتر المسبب عن عدم الاعتراف[٥].

يستخدم اللون الأخضر في علاج بعض الأمراض النفسية والجسدية، فهو يفيد علاج التردد والقلق وعدم الاستقرار النفسي، وذلك بتنمية الانسجام مع الذات، ويساعد على الاسترخاء ويسهم في سرعة النقاهة من الأمراض عن طريق تحفيز جهاز المناعة، ويعطي فعالية ضد الالتهابات ويهدئ المرضى المنفعلين والمهتاجين[٦]، ويعالج ضغط الدم وأمراض القلب والقلق، وهو خير دواء للكآبة

(١) مبادئ التصميم واللون ص (٣٨) .
(٢) اللغة واللون ص (١٨٥).
(٣) ينظر: فلسفة الألوان ص (٩٨ – ٩٩).
(٤) تأثير العطور والألوان ص (١٣٥).
(٥) اللغة واللون ص (١٩١).
(٦) ينظر: تأثير العطور والألوان ص (١٢٦ – ١٧٣).

والإجهاد ويريح من التوتر، ويهدئ الآلام في حالة الإصابة والسرطان[١].

وفي مفارقة غريبة يختص بها اللون الأخضر تبرز دلالات مختلفة لكل درجة من درجات الأخضر، فالأخضر الباهت يظهر أن صاحبه حسود، فإذا ظهر اللون الأخضر مبقع بأحمر يكون الغضب مصحوبا بالحسد، فيما يشير اللون الأخضر الأردواز المشقق – وهو عبارة عن حجر صلصالي داكن – يشير إلى أن الشخص حقير وخداع، أما صاحب هالة الأخضر الفاتح فتعني أن صاحبها متسامح، سهل الانقياد، متلائم ولبق وحكيم ومؤدب، وله قابلية لأقلمة نفسه حسب الظروف المتغيرة، فيما يشير الأخضر الباهت مع لمسة بنية إلى شخص لديه عاطفة حيوانية[٢].

٢- اللون الأخضر في الحديث النبوي:

أ- الأخضر الصريح في الحديث النبوي:

يكتسب اللون الأخضر بُعدًا تعبيريا خاصًا وواسعًا لا يكتسبه غيره من الألوان، فيعطي دلالات واسعة في حقوله الدلالية، ليكشف عن معانٍ واسعة بالغة الكثافة تعبيرًا وتصويرًا وترميزًا.

نجد أن النبي ﷺ قد استدعى اللون الأخضر في الحديث النبوي بكثافة وفعالية عالية، فقد شكّل اللون الأخضر حضورًا كثيفًا في الحديث، فاللون الأخضر هو ثاني أكثر الألوان ورودًا في حديث النبي ﷺ بعد اللون الأحمر، فقد ذكره ستًا وعشرين مرة، وقد أُستخدم بحرية فائقة منفتحًا على سيمائيته، واستخدم النبي ﷺ عددًا من ألفاظ الخضرة المباشرة وهي: (الخضراء– خَضِرة – تخضر – أخضر – خضراء – الخضر – الأخضر– خُضْرة).

يبدأ النبي ﷺ ذكر اللون الأخضر بقوة فائقة وصولاً إلى أعلى درجاتها

(١) الألوان من السيكولوجية إلى الديكور ص (٤٩).

(٢) ينظر: تأثير العطور والألوان ص (١٥٨، ١٥٩).

وذروتها، وذلك في قوله عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام: «مثل المؤمن كمثل شجرة خضراء، لا يسقط ورقها ولا يتحات...»[١].

إن العبارة اللونية (مثل المؤمن كمثل شجرة خضراء) تشير إلى حكمة النبي ﷺ بتقريبه المفاهيم للناس بضرب الأمثال الموضَّحة، وفي هذه العبارة يعمّق النبي ﷺ قوة اللون، فالنخلة الخضراء أشبهت المسلم في كثرة خيرها، ودوام ظِلّها، وطيب ثمرها، ويتّخذُ منها منافع كثيرة، وهي كلها منافع وخير وجمال، والمؤمن خيرٌ كلّه؛ من كثرة طاعاته، ومكارم أخلاقه، ومواظبته على عبادته، وصدقته، وسائر الطاعات، فكأن الخير لا ينقطع منه، فهو دائم كما تدوم أوراق النخلة فيها، ثم الثمر الكائن منها في أوقاته، واستخدام النبي ﷺ للون الأخضر مع النخلة جعل له قابلية ورمزية عالية في التدليل السيميائي والتشكيل البلاغي، ومنهما إلى الصورة التشبيهية ذات العمق والبعد الدلالي.

يشتغل اللون الأخضر بصورة خصبة، تستلهم قوة حضورها من خلال صورة بلاغية وصفية متكاملة غارقة في الجمال، تعطي المعنى المقصود بشكل إيحائي مكثف وعميق، فيشعر القارئ بطغيان الخصرة على كل الصورة اللونية في هذا الحديث، قال سمرة بن جندب: "كان النبي ﷺ إذا صلى صلاة، أقبل علينا بوجهه، فقال: من رأى منكم الليلة رؤيا؟"... فانطلقنا، حتى انتهينا إلى روضة خضراء، فيها شجرة عظيمة، وفي أصلها شيخ وصبيان..."[٢].

تتشكل حساسية اللون الأخضر في هذا الحديث وقدرته على التفاعل عبر مجيئه وصفًا لروضة في الجنة، فيكتسب طاقة تشكيلية هائلة، ويعطي القارئ مثلها، وذلك عبر وجودها من بوابة الخضرة التي تصف روضة، فيفتح النبي ﷺ من خلال الخضرة مديات واسعة غير محدودة، واستخدامه ﷺ للمفردة (روضة)

(١) ينظر: صحيح البخاري، ص (١٢٥٣)، برقم (٦١٢٢).
(٢) ينظر: المرجع السابق، ص (٢٧٩)، برقم (١٣٨٦).

أعطى الصورة دلالة وعمق أكثر، فلم يستخدم النبي مفردة (جنة)، وذلك لكي لا تعمل الخضرة في خفاء وستر، فتكون الصورة هي الروضة التي تنبت الأخضر، فتصير سببًا في انتشار الخضرة وهي الأشجار والأعشاب والنباتات، وهنا نلاحظ العامل الزمني المتخفي خلف جدران الصورة البلاغية، المتمثل في وصف النبي ﷺ ما رآه من مشاهد غيبية مستقبلية في الرؤيا التي أراها الله إياه، حيث نستقيها من (خضرة – روضةٍ – شجرة عظيمة) وهذا يعطي اشتغالاً سيمائيا عاليا للخضرة نابعًا من العالم الغيبي وديمومة النمو والتوسع والانتشار والاستمرارية طالما الروضة موجودة في بعد زمني آخر لا انتهاء له.

يحاول النبي ﷺ أن يقرّب ما يريد أن يقوله من خلال الأثر النفسي للألوان، وقد أضاف في حديثه صورًا من أحوال المؤمنين يوم القيامة، قال ﷺ: «فيقول الجبار: بقيت شفاعتي، فيقبض قبضة من النار، فيخرج أقوامًا قد امتحشوا، فيلقون في نهر بأفواه الجنة يقال له: ماء الحياة، فينبتون في حافيته كما تنبت الحبة في حميل السيل، قد رأيتموها إلى جانب الصخرة، إلى جانب الشجرة، فما كان إلى الشمس منها كان أخضر، وما كان منها إلى الظل كان أبيض، يخرجون كأنهم اللؤلؤ....»[1].

يتحدث النبي ﷺ عن شفاعة الله لأقوام دخلوا النار حتى امتحشوا، فيلقون برحمته في نهر بأفواه الجنة، يقال له: ماء الحياة، فينبتون في حافيته كما تنبت الحبة في حميل السيل، فما كان منها إلى الشمس كان أخضر، وما كان منها إلى الظل كان أبيض.

وكل سطر من أسطر هذا الحديث يحمل في طياته صورة من صور رحمة الله التي ابتدأت بشفاعة النبيين والملائكة والمؤمنين وانتهت بشفاعته سبحانه وتعالى، ونلمح في وصف النبي ﷺ حضورًا لونيا، ليرفع من أداء وعمل اللون

(١) ينظر: المرجع السابق، ص (١٥٠١)، برقم (٧٤٣٩).

الأخضر وذلك من خلال اللون (الأبيض)، مما يساهم في رسم المعنى وصورته عبر طاقة التشكيل اللوني لتوصلنا إلى صورة عتقاء الرحمن الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه، ولا خير قدّموه بقدرة عالية على التوفيق بين اللونين، مما يوحي بسعة رحمة الله وفضله على عباده.

يبْرِز الحديث دقّة بلاغة الخطاب النبوي في اختيار الكلمات الموحية من حيث محتوياتها ومدلولاتها من خلال جمال التشكيل اللغوي عبر منحنى سيمائي مليء بالفعالية اللونية، في الحديث الذي حذّر النبي فيه من حُسن الدنيا وزينتها، والذي يظْهِر مدى تمركز وتموضع اللون الأخضر في السياق، فيحيل اللون إلى رؤية دلالة سيمائية عميقة وجديدة، قال ﷺ: «إنما أخشى عليكم من بعدي ما يفتح عليكم من بركات الأرض» ثم ذكر زهرة الدنيا .... وإن هذا المال خَضِرَةٌ حلوة، ونعم صاحب المسلم لمن أخذه بحقه... »[(١)].

يجعل النبي ﷺ المال في هذا الحديث كما أسماه (خَضِرةٌ حلوة) نظيرًا للحياة (زهرة الحياة – بركات الأرض) ومعادلاً لها، فيصبغ المال باللون الأخضر في إشارة إلى الاستمرارية، ففي هذا الحديث يوفّر النبي ﷺ بيئة سيمائية صالحة للبحث في اللون الأخضر، فنلاحظ دخول الأخضر من بوابة المال (الحياة) مدخلاً حاسمًا وعميقًا أحدث تغييرًا عميقًا أكسب السياق جمالاً ورونقًا جديدًا غاية في الدقة والتستر والظهور في وقت واحد، يعطي المعنى (المال خضرة حلوة) معنى الخصب والتوليد والافتتان والرغبة، فالمال محبوب مرغوب ترغبه النفس، وتحرص عليه بطبيعتها، وهو موضع الافتتان ومضنّة الإمساك والبخل، فجاء الحضّ على الإنفاق منه، واكتسابه من حِلِّه، والتحذير من فتنته.

لا يتوقف حضور اللون الأخضر في الحديث النبوي على عدد معين، بل يكتسب الأخضر حراكًا من خلال وجوده بشكل مكثف في بعض الأحاديث،

(١) ينظر: المرجع السابق، ص (٥٧٩)، برقم (٢٨٤٢).

ومنها حديث عائشة ك، وفيه قالت: وعليها خمارٌ أخضر، فشكت إليها وأرتها خضرة بجلدها، فلما جاء رسول الله ﷺ، والنساء ينصر بعضهن بعضًا، قالت عائشة: "ما رأيت مثل ما يلقى المؤمنات، لجلدها أشد خضرة من ثوبها..."(١).

يتواجد اللون الأخضر في هذا الحديث بشكل مكثف، فهو متمدد في بداية الحديث (خمار أخضر) وكذلك موجود في وسطه (أشد خضرة)، ولا يقتصر عليها، بل ينتقل إلى عموم الحديث ليزيد من درجة اشتغاله الوصفي (خضرة بجلدها)، فتظهر فاعليته، فهي تطال معظم أجزاء الحديث، وفي استخدام مفردة (بجلدها) المرتبطة مع الخضرة (خضرة بجلدها) إيحاء بالإيذاء الذي وقع على هذه المرأة من زوجها، ووصف شدة أثر الضرب، وتقصد عائشة ك بقولها: "لجلدها أشد خضرة من ثوبها": أن جلدها أشد خضرة من خمارها الأخضر الذي كان عليها، وفيه بيان شدة الأذى الذي تعرضت له تلك المرأة الذي أدّى إلى خضرة الجلد، وأن ما لقيته شديد بالقدر الذي يبعث على التعجب والاستنكار، فكانت دلالة الأخضر رمزًا له.

يبرز النبي ﷺ قدرته الفائقة على استخدام الألوان من خلال الجمع بين المتناقضات في سياق واحد، وهذا ما يظهر في قوله ﷺ: «إنما سمي الخَضِرَ أنه جلس على فروة بيضاء، فإذا هي تهتز من خلفه خضراء»(٢). هنا النبي ﷺ يظْهِر ملكته اللغوية والقدرة على توظيف دلالة الألوان في حديثه في مفارقة تصويرية دقيقة، هذا الحديث يجمع فيه النبي ﷺ بين المتناقضات في صورة تنفصل كل واحد عن الأخرى، ولكن ما يجمعها هو المستحيل أو الصعب، أو المعجزة التي تصيب النبات، فمقصوده من الأرض الخضراء الدال عليها عبارة (تهتز من خلفه خضراء)، هو النبات وانتشاره السريع المفاجئ في مساحات

(١) ينظر: المرجع السابق، ص (١٢٠٦)، برقم (٥٨٢٥).

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص (٦٩٤)، برقم (٣٤٠٢).

من الأرض، وهو هنا مصطبغ باللون الأبيض، وهي صبغة الأرض (فروة بيضاء) أي أرض هشيم يابسة، ثم ما تلبث أن تتحول وتصطبغ باللون الأخضر بعد جلوس الخضر عليها، ليظهر أن كل شيء يسير مع الخضر – بقدرة الله– بشكله المقلوب والمعكوس، وليس بالشكل الصحيح الذي ينبغي له أن يسير عليه، ذلك أن الله أعطاه كرامات كثيرة وعلمًا غزيرًا، وفي هذا الحديث بين النبي ﷺ سبب تسمية الخَضِر عليه السلام بهذا الاسم؛ وهو أنه كان قد جلس على فروة بيضاء –وهي الأرض الجدب اليابسة– فإذا هي تهتز من خلفه خضراء، أي: أنبتت وخرج منها الزرع بمجرد جلوسه عليها، وهذه معجزة من معجزاته ÷ التي أجراها الله على يديه.

يكسب النبي ﷺ اللون الأخضر دلالة جديدة في حديثه، وهي دلالة قديمة وظفها النبي ﷺ في هذا الحديث، فيقول في تفسير رؤيا عبد الله بن سلام وقد وظف اللون الأخضر بتلك الدلالة: فمرّ عبد الله بن سلام، فقالوا: هذا رجل من أهل الجنة، فقلت له: إنهم قالوا كذا وكذا، قال سبحان الله، ما كان ينبغي لهم أن يقولوا ما ليس لهم به علم، إنما رأيت كأنما عمود وضع في روضة خضراء، فنصب فيها... فقال رسول الله ﷺ: «يموت عبد الله وهو آخذ بالعروة الوثقى»(١).

والخضرة في هذا السياق (روضة خضراء) هي السعة والحياة، والأمن والطمأنينة الدائمتين، وهي حياة التقوى والتمسك بالدين، فخضرة الروضة (الأرض)، تبعث في النفس الأمن والسلام والسعة، حيث العيش مع الخضرة يريح النفس ويبعث فيها الطمأنينة والدعة، فتكون الخضرة دالة على الحياة وديمومتها، والنبي ﷺ فسّر تلك الرؤيا لعبد الله بن سلام، فقال: «تلك الروضة: الإسلام، وذلك العمود: عمود الإسلام، وتلك العروة: عروة الوثقى»، ثم قال له ﷺ: «فأنت على الإسلام حتى تموت» وهذه بشرى عظيمة، وشهادة له أنه من

(١) ينظر: المرجع السابق، ص (١٤٢٠)، برقم (٧٠١٠).

أهل الجنة؛ لأن الجنة إنما يدخلها المسلمون. وفيه منقبة عظيمة لعبد الله بن سلام ﷺ، حيث بُشِّر بأنه سيظل على الإسلام طوال حياته، بناءً على تلك الرؤيا الصالحة، وتأويل الروضة الخضراء بدلالته الجديدة، وتوظيف اللون الأخضر الذي يحمل الدلالة نفسها.

تتشابك دلالات اللون الأخضر مع المعاني المتعددة التي يضمنها إياها الرسول ﷺ، مدللاً بها على اللون والرمزية السيمائية بشكل فاعل، ومنها حديث أبي سعيد الخدري؛ "أن النبي ﷺ جلس ذات يوم على المنبر، وجلسنا حوله... فقال: «إنه لا يأتي الخير بالشر، وإن مما ينبت الربيع يقتل أو يلمُ، إلاّ آكلة الخضراء، أكلت حتى امتدت خاصرتاها، استقبلت عين الشمس، فثلطت وبالت، ورتعت...»"(١).

يأتي استخدام اللون الأخضر في موضع الاستثناء، فعبارة (إلاّ آكلة الخضراء) تعطي قيمة دلالية جديدة، فآكلة الخضراء هي الدابة التي تأكل الخَضِرَ فقط وهو ما اخضرّ من الكلأ الذي لم يصفرّ، فهي تأكل من هذا الخير وتهنأ به، فيبقى نفع ما أكلت، ويخرج فضولها، ولا تتأذى به، وهذا مثال للمقتصد في جمع المال، المكتسب إياه من حِلٍّ، والمنفق إياه في الخير، وتشكّل النجاة من هذه الدواب لـ (آكلة الخضراء) فقط قيمة مولدة للمعنى السيميائي، فالخضرة هنا دلالة النفع والخير، فجعل الحض على الاقتصاد في المال أخضر يحمل الأمن والسعادة والهناء لمن يكتسب المال من حِلّه ويترك الإمساك به، فيبارك له فيه ويعطي بركته، ويكون له خيرًا.

يرفع النبي ﷺ من قوة أداء الصورة البلاغية، فيتحرك اللون الأخضر على صعيد قوة اللون ورمزيته الدلالية في فضاء لغوي واسع ورحب، يقول أنس بن مالك: دخل رسول الله ﷺ على ابنة ملحان فاتكأ عندها، ثم ضحك، فقالت: لم

(١) ينظر: المرجع السابق، ص (٢٩٨)، برقم (١٤٦٥).

تضحك يا رسول الله؟ فقال: «ناس من أمتي يركبون البحر الأخضر في سبيل الله، مثلهم مثلُ الملوك على الأسرة». فقالت: "يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم... "[١].

يحتوي هذا الحديث على دلالات مختلفة، فاللون الأخضر في الحديث مشحون بقوة من التشكيل والدلالة والرمزية والسيمائية، لما يحمل من مفردات (البحر – ملوك – أسرّة)، وهذه المفردات تمثل معظم مكونات فضاء الصورة، فمنبع انبثاق اللون الأخضر هو البحر، وركوب البحر نادر عند العرب وغير مأمون الجانب، فتحمل هذه الصورة قوة هائلة تشع بالترميز والتصوير، مما يعطي معنى سيمائيا كبيرًا، (يركبون البحر الأخضر) أي وسط البحر وظهره، وهم في حالة القوة والسيطرة والتمكن والعزة، كأنهم ملوك على الأسرة (مثلهم مثل الملوك على الأسرة)؛ لاتساع السفن التي يركبونها، وفي هذا بشرى من النبي ﷺ باتّساع ملك أمته حتى يركبوا غزاة في البحر، فيعبروا منه إلى البلاد التي وراءه، فيفتحونها، وهذا يدل على بقاء أمته بعده متمسكة بأمور الإسلام، قائمة بالجهاد، حتى في البحر مع علو منزلتهم ورفعة شأنهم وقوة بأسهم، وسعة أحوالهم، وقوام أمرهم، وكثرة عددهم.

يستمد اللون الأخضر قوته من قوة السياق الوارد فيه، فيضفي عليه اخضرارًا عبر تفاعل شديد بين اللون والتعبير، قال رسول الله ﷺ: «موسى رسول الله عليه السلام، قال ذكر الناس يومًا، حتى إذا فاضت العيون... فوجدا خضرًا. قال لي عثمان بن أبي سليمان: على طنفسة خضراء على كبد البحر...»[٢].

يأتي اللون الأخضر في هذا الحديث صفة للطنفسة (طنفسة خضراء) وهي فرش صغير (بساط له خمل)، حيث يظهر عبر صورة الغرابة (على كبد البحر)

(١) ينظر: المرجع السابق، ص (٥٨٥)، برقم (٢٨٧٧).

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص (٩٦٨)، برقم (٤٧٢٦).

أي: على وسطه أي أنه كان عليها في وسط البحر! وفيه دلالة الكرامة. ويبقى اللون الأخضر عاملاً قويا في السياق، فيعطي قوة في التدليل والرمزية ومنهما إلى السيمائية (فوجدا خَضِرًا) وهنا يوحي بعظمة الخضر والكرامات التي اختصّه الله بها، فإنما سمي الخَضِرَ لأنه إذا صلّى اخضرّ ما حوله، وقيل: لأنه إذا قام مكانًا نبت العشب تحت رجليه حتى يغطي قدميه، فخضرة اسمه وثيابه، بالإضافة إلى اخضرار كل ما يمسّه، دلالة الهدى والنبوة والإعجاز.

يشع التشكيل اللوني في الحديث النبوي حساسية اللون في الحضور بتشكيل لغوي واسع ومنفتح على قوة لونية هائلة (أسود – أخضر– أصفر)، فيبرز المعنى عبر الألوان في صورة جمالية فائقة، عن أم خالد بنت خالد: "أتى النبي ﷺ بثياب فيها خميصة سوداء صغيرة، فقال: «من ترون نكسو هذه». فسكت القوم، قال: «ائتوني بأم خالد» فأتى بها تحمل، فأخذ الخميصة بيده فألبسها، وقال: «أبلي وأخلقي». وكان فيها علم أخضر أو أصفر، فقال: «يا أم خالد، هذا سناة»[1].

يُرمز من خلال الأخضر إلى الحياة والخير، وهذا دال على طول البقاء (أبلي وأخلقي) يريد النبي ﷺ الدعاء لها بطول العمر، أي أنها تطول حياتها حتى يبلى الثوب ويخلق، وقد طال عمرها ببركة دعاء النبي ﷺ لها. وبالنظر إلى السياق الكامل المحتوي على الألوان نلاحظ أن اللون الأخضر لم يأتِ منفردًا بل اقترن مع اللون الأصفر، وهذا يزيد من تعميق وتكثيف الدلالة من استخدام هذين اللونين في هذا الموضع؛ حيث يحضر اللون الأخضر كدلالة الحياة والسعة، ويحضر الأصفر كدلالة البهجة والسعادة، وهذا ما قصده النبي ﷺ بقوله لأم خالد: (أبلي وأخلقي) كرمز لطول العمر و (سناة) كدلالة السعادة والحُسن، وفي هذا الحديث يضرب النبي ﷺ أروع الأمثلة في تواضعه مع الصغار ورحمته بهم

(١) ينظر: المرجع السابق، ص (١٢٠٦)، برقم (٥٨٢٣).

وسعة صدره في التعامل معهم، ومخاطبته لهم بلغاتهم (سنة سنة) وهي بالحبشية حسنة.

يحضر اللون الأخضر حضورًا واضحًا وصريحًا دون كافة الألوان الأخرى، عن عبد الله ﷺ:﴿ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ﴾ [النجم: ١٨] قال: رأى رفرفًا أخضرًا سد أفق السماء[١]. ينتشر اللون الأخضر في كافة أرجاء السماء، فيتسع فضاؤه حتى سدّ الأفق، ليدلل على بعدين هما البعد الزماني والبعد المكاني، فالبعد الزماني هو زمن نزول جبريل عليه السلام على النبي ﷺ ورؤيته له، وهو غير ظاهر في الحديث، أما البعد المكاني فهو واضح (أفق السماء). يتمظهر اللون الأخضر عند النبي ﷺ في الأخضر الواضح الصريح، وإدراكه ﷺ لهذه الدلالة هو إدراك لما يراه، وقد جاءت الدلالة في هذه المرة مخالفة لكل دلالات الخضرة السابقة، ذلك أن النبي ﷺ رأى جبريل عليه السلام في حلة رفرف أخضر، قد ملأ ما بين السماء والأرض، والرفرف ثوب كان لباسًا له، أي أنه رآه في حلة رفرف، فحضور الثياب باللون الأخضر كان وسيلة تشكيلية لتعميق البعد اللوني في هذا الحديث، حيث ارتبط الأخضر بالثياب عبر لباس أهل الجنة، وكانت رحلة الإسراء والمعراج مع جبريل عليه السلام إلى السماوات العلى للجنة، فالله قد أكرّم نبيه ﷺ وأصعده مع جبريل، حتى أراه الجنة، وأراه إخوانه من الأنبياء، وأراه آيات الله الكبرى ﴿لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾ مما يدلل على معرفة النبي ﷺ لمدركات كل ما رآه في هذه الرحلة المعجزة التي أيده الله وأكرمه بها.

ب- الأخضر غير الصريح في الحديث النبوي:

لم يكثر النبي ﷺ من المفردات غير المباشرة التي تدل على اللون الأخضر بعكس الأخضر المباشر، فكانت مفرداته قليلة، نادرًا تكرارها، ومن

(١) ينظر: المرجع السابق، ص (٦٥٨)، برقم (٣٢٣٣).

المفردات الدالة على الخضرة في الحديث النبوي، عبارة (جريدة رطبة)، عن ابن عباس قال: "مرّ النبي ﷺ بقبرين، فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير... ثم أخذ جريدة رطبة، فشقها نصفين، فغرز في كل قبر واحدة. قالوا يا رسول الله، لم فعلت هذا؟ قال: «لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا»[١].

تمثل الجريدة الرطبة الخضراء رمزًا للخير والهناءة، والنبي ﷺ إنما أراد بفعله وهو أخذ الجريدة الرطبة وشقها نصفين، وغرز واحدة على كل قبر، الخير لصاحبي القبرين، وقد أخبر صحابته أنه فعل ذلك لعل الله تعالى أن يخفف عنهما العذاب إلى أن يجف الجريد الذي وضعه على قبريهما، وإنما استخدم النبي ﷺ الجريدة الرطبة، لدلالة على معنى السلامة والأمن، ذلك لأنه بطيء الجفاف، ولأن في الرطب منه معنى ليس في اليابس، فيحصل التخفيف ببركة بقاءه رطبًا.

يعطي النبي ﷺ اللون الأخضر عبر الشجرة بعدًا ترميزيا من (لا يسقط ورقها)، رامزًا بها إلى النفع والخير العميم، قال رسول الله ﷺ: «إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وهي مثل المسلم، حدثوني ما هي؟» فوقع الناس في شجر البادية... فقال رسول الله ﷺ: «هي النخلة»[٢].

وأشبهت النخلة المسلم – كما فسّر النبي ﷺ لصحابته، في كثرة خيرها، ودوام ظلها، وطيب ثمرها، ويتخذُ منه منافع كثيرة، وهي كلها منافع وخير وجمال، والمؤمن خيرٌ كله من كثرة طاعاته، ومكارم أخلاقه، ومواظبته على عبادته وصدقته، وسائر الطاعات؛ فكأن الخير لا ينقطع منه، فهو دائم كما تدوم أوراق النخلة فيها، ثم الثمر الكائن منها في أوقاته. فيوحي تعبير الرسول ﷺ (وهي مثل المسلم) على فضل النخل وتشبيهها بالمسلم، مع ما فيها من البركة

(١) ينظر: المرجع السابق، ص (٦٠)، برقم (٢١٨).

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص (٤٣)، برقم (١٣١).

مما تثمره، ووجودها على الدوام.

يستخدم النبي ﷺ للدالة على اللون الأخضر مفردة (غصن)، وذلك تعبيرًا عن أدنى أعمال البر والطاعة، فقال رسول الله ﷺ: «بينما رجل يمشي بطريق، وجد غصن شوك على الطريق فأخّره، فشكر الله له فغفر له»(١).

يضع النبي ﷺ مفردة (غصن) في سياق ديني تربوي يوحي بالأذى القادم من وراء ذلك الغصن، حيث تتألف صورته عبر (وجد غصن شوك على الطريق فأخّره)، فأعمال الطاعة والخير والعبادة متنوعة ومتعددة، وهمم الناس في الإقبال عليها متفاوتة، ومن ثم كانت أجور العباد ودرجاتهم متفاوتة عند الله. وفي هذا الحديث يحث النبي ﷺ على جملة من أعمال البر، فبدأ بالحث على إماطة الأذى عن الطريق، فأخبر ﷺ عن رجل كان يسير في الطريق فوجد غصن شوك يؤذي الناس، فأزاله ليكف أذاه عنهم، فتقبل الله منه هذا العمل اليسير وأثنى عليه، فكان جزاؤه أن غفر له ذنبه، وبذا يكون اللون الأخضر موحيا بدلالة الفضل، ذاك أن إماطة الأذى عن الطريق فضيلة، وهي رغم كونها أدنى شعب الإيمان إلا أنه رتّب عليها الأجر العظيم وهي مغفرة الذنب.

يبعد النبي ﷺ ببعض المفردات الرامزة للون الأخضر عن دلالات الأخضر كل البعد، وإنما يعطيها دلالات خاصة به، يستخدم النبي ﷺ مفردة (الجنة) ليدل بها على ثواب طاعته والاقتداء بسنته، قال ﷺ: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى». قالوا: يا رسول الله، ومن يأبى؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى»(٢).

تحمل مفردة (الجنة) طاقات رمزية مشعة تجلب الانتباه، فاللون الأخضر يدعو إلى تذكر الخضرة الدائمة في الجنة؛ فهو لون موصوف بالجمال، ولون

(١) ينظر: المرجع السابق، ص (١٣٩)، برقم (٦٥٢).

(٢) ينظر: المرجع السابق، ص (١٤٧٠)، برقم (٧٢٨٠).

لطيف يوحي بالحياة الأبدية، واللون الأخضر هو لون النفس الراضية، وكل من يدخل الجنة فهو في حالة رضا تام، فضلاً عن لباس أهل الجنة الأخضر ﴿وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ﴾ [الكهف: ٣١]، وكأنه لون المكرمين من لدن الحق تعالى.

وفي هذا الحديث يخبر النبي ﷺ بأن من أطاعه وتمسّك بالكتاب والسنة، دخل الجنة، ومن اتّبع هواه وزل عن الصواب، وضلّ عن الطريق المستقيم، فإنه يكون قد رفض أن يدخل الجنة، واختار لنفسه أن يدخل النار؛ فطاعته ﷺ توجب الجنة، ومعصيته توجب النار. الجنة ذات الدلالة الرمزية الخاصة باللون الأخضر ؛ النفوس المطمئنة الراضية، والنعيم الأبدي، والحياة السرمدية، والجمال الذي لا يحول ولا يزول والمعقود بتأثير هذا اللون الباعث على الحياة، الجالب للسعادة والسرور والرضا والسلام.

الخاتمة

النتائج والتوصيات:

عرضت الباحثة لمجموع الألوان الواردة في أحاديث النبي ﷺ (صحيح البخاري) وقد توصلت الباحثة بعد العرض السابق إلى مجموعة من النتائج، منها:

- يعد الحديث النبوي في الذروة من البيان، ولا يرتفع فوقه في مجال الأدب الرفيع إلاّ كتاب الله بلاغة وفصاحة.
- تأثر النبي ﷺ في البيئة العربية الخالصة؛ مما حفزه على الإبداع، وتوظيف الألوان وانعكاسها على أحاديثه ﷺ.
- اهتمام النبي ﷺ بظاهرة الألوان، حيث احتوى صحيح البخاري على ما يزيد عن مائة موضع لون صريح، فضلاً عن غير الصريح.
- إن المفردة اللونية في الحديث النبوي لم تحافظ على قوتها اللونية المستمدة من المعجم والقوة اللونية المستمدة من العُرف، وإنما خرج النبي ﷺ بالألوان في كثير من الأحايين عن دلالتها المعروفة إلى دلالات خاصة مستحدثة.
- تشابهت بعض الدلالات للون الواحد، وأيضًا اختلفت بعض الدلالات كذلك للون الواحد حتى وصل ببعضها أنها حملت المتناقضات، فكان التناقض حاضرًا في اللون الواحد، مما يدل على قدرة النبي ﷺ في توظيف اللون الذي يعطي قدرة سيمائية عالية.
- مزج النبي ﷺ بين لونين أو أكثر لتعميق الصورة الأدبية البلاغية، وكان هذا بارزًا في الألوان الأساسية .
- يوظف النبي ﷺ مفردات لغوية تساعد على تبيان المعاني المقصودة والكامنة وراء ذكره للألوان، فتساعد المفردات السابقة واللاحقة للون في إظهار قيمته السيميائية، فدراسة اللون عند النبي ﷺ ليس بمعزل عن الصور الأدبية الأخرى في الحديث.
- من خلال توظيف النبي ﷺ للون يتضح أن اللون يحمل قدرة إيحائية عالية

توجه مفردات النبي ﷺ من أجل أن يعطي المتلقي تمثيلاً للمعنى بشكل أقرب وأكثر عمقًا وأعلى سيمائية.

- وظف النبي ﷺ مفردات حلت محل الألوان في تشابك بين الألوان ومحيطها من الطبيعة والحياة الإنسانية، مما يعني أن اختيار النبي ﷺ للألوان والمفردات الموازية لم يكن عبثيا أو عفويا وإنما كان بعناية فائقة.
- تدخل اللغة الأدبية اللونية في مجالات اللغة السهلة الممتنعة، إذ أن المفردات تبدو سهلة، فيما يبدو التركيب اللوني يحتوي على شيء من التعقيد في تحليله وبيان ماهيته.
- إن السيمياء عبارة عن حضور وغياب، وقد كان ذلك ملموسًا بقوة في أحاديث النبي ﷺ فكانت الألوان الحاضرة حاضرة في الأحاديث المختلفة، وكانت الألوان الغائبة عن حديث النبي ﷺ حاضرة بغيابها، فهي تحمل دلالات مناقضة فيما لو كانت حاضرة.

هذه خلاصة النتائج التي توصلت إليها الباحثة طوال رحلة البحث، ومن هذه النتائج تنطلق موجهةً بعض **التوصيات**، والتي أبرزها:

- الاهتمام بدراسة المناهج النقدية من الجوانب التطبيقية، وخصوصًا المنهج السيميائي، فالسيمائية لها مجالات رحبة وواسعة من الناحية العملية.
- الاهتمام بدراسات تطبيقية بلاغية وأدبية حول أحاديث النبي ﷺ حتى تأخذ حقها وإنصافها كما الدراسات الأخرى، وإثراء المكتبة العربية بدراسات حول أحاديثه ﷺ.
- ربط العلوم الصوتية واللغوية عمومًا بالتطبيقات النقدية، لما تفتح آفاقًا واسعة في سبر أغوار أحاديث النبي ﷺ.
- إثراء المكتبات العربية وخصوصًا المكتبات الجامعية بكتب تتعمق في السيميائية ، وكذلك في الكتب التي تتحدث عن الألوان ودلالاتها.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١- إبداعات لونية وتأثيراتها النفسية: نزار كمال المحلاوي .

٢- أسس السيميائية دانيال تشالدنر، ترجمة: طلال وهبه المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٨م.

٣- أقدم لك علم العلامات: بول كوبلي وليتسا جائز، ترجمة: جمال الجزيري، المجلس الأعلى للثقافة، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٤- الألوان من السيكولوجية إلى الديكور: حسين جمعة، ٢٠٠٦م.

٥- بناء المعنى السيميائي في النصوص والخطابات: جميل حمداوي.

٦- تأثير العطور والألوان على نفسية الإنسان: أحمد حجازي، دار عالم الثقافة للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

٧- تاج العروس من جواهر القاموس: السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، ت: عبد الستار أحمد فراج، طبعة حكومة الكويت ١٩٦٥م.

٨- تفسير القرآن العظيم: ابن كثير الدمشقي ت مصطفى السيد محمد وآخرون، مؤسسة قرطبة، الطبعة الأولى، الجيزة – مصر ، ٢٠٠٦ .

٩- تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، ت: عبد السلام هارون، دار القومية العربية للطباعة، القاهرة، ١٩٦٤م.

١٠-تيارات في السيمياء: عادل الفاخوري، دار الطليعة للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٠م.

١١- جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر بن جرير الطبري، ت أحمد محمد شاكر

ط ٢ مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

١٢- الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي القرطبي، ت: عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٧م، ج٥.

١٣- الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني، ت محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، دط، ١٩٥٢م، ج١.
١٤- الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية: عبد الله محمد الغذامي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الرابعة مصر.
١٥- الدر المصون في علم الكتاب المكنون: أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الجلبي، ت: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق ج٩ .
١٦- دروس في السيميائيات: مبارك حنون، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.
١٧- دليل الناقد الأدبي: ميجان الرويلي وسعد البازعي، المركز الثقافي العربي، الطبعة الثالثة، الدار البيضاء – المغرب، ٢٠٠٢م.
١٨- الرسم واللون: محيي الدين طالو، طبعة الشام، الطبعة السابعة، دمشق، ١٩٩٣م.
١٩- سنن أبي داوود: سليمان بن الأشعث أبو داوود السجستاني الأزدي، ت محمد محيي الدين عبدالحميد المكتبة العصرية – صيدا – بيروت.
٢٠- السيمياء العامة وسيمياء الأدب: عبد الواحد المرابط، الدار العربية للعلوم، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠١٠م.
٢١- سيمياء براغ للمسرح دراسات سيميائية: عدد من المؤلفين ترجمة أدمير كورية، مشورات وزارة الثقافة السورية، دمشق، ١٩٧٧م.
٢٢- السيمياء والتأويل: روبرت شولز، ترجمة سعيد الغانمي المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٤م.
٢٣- السيمياء وفلسفة اللغة: أمبرتو إيكو، ترجمة أحمد الصمعي المنظمة العربية للترجمة الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠٠٥.
٢٤- صحيح البخاري: محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، ت: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة – بيروت، الطبع الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٥- أبو الطيب المتنبي مالئ الدنيا وشاغل الناس: عاصم الجندي، دار المسيرة، الطبعة الأولى، بيروت، ١٩٩٣م.
٢٦- العلاء المعري رهين" المحبسين عاصم الجندي دارة المسيرة، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٣م.
٢٧- العلاج بالألوان: أيمن الحسيني مكتبة ابن سينا للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠٠٥م.
٢٨- علم اللغة العام: فريدنان دي سوسير، ترجمة: يوئيل يوسف عزيز، دار آفاق عربية بغداد، ١٩٨٥م.
٢٩- فقه اللغة: أبو منصور الثعالبي، تحقيق: ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، الطبعة الثانية، بيروت، ٢٠٠٠م.
٣٠- فلسفة الألوان: إياد محمد الصقر، الأهلية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، ٢٠١٠م.
٣١- لسان العرب: ابن منظور، تحقيق عبدالله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، مادة (لون).
٣٢- اللغة واللون: أحمد مختار عمر عالم الكتب للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٩٩٧ م.
٣٣- اللون لعبة سيميائية – بحث إجرائي في تشكيل المعنى الشعري: فاتن عبدالجبار جواد، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى ٢٠١٠م.
٣٤- ما هي السيميولوجيا: برنار توسان ترجمة محمد نظيف، أفريقيا الشرق ٢٠٠٠، الطبعة الثانية الدار البيضاء – المغرب، ١٩٩٤م.
٣٥- مبادئ التصميم اللون: عدلي محمد عبد الهادي، مكتبة المجتمع العربي، الطبعة الأولى، عمان – الأردن ٢٠٠٦م.
٣٦- معجم السيميائيات: فيصل الأحمر، الدار العربية للعلوم ناشرون، الطبعة الأولى، بيروت، ١٤٣١هـ – ٢٠١٠م.

٣٧- مقدمة ابن خلدون: عبد الرحمن بن خلدون تحقيق حامد أحمد الطاهر، دار الفجر للتراث، الطبعة الأولى، القاهرة، ٢٠٠٤م.
٣٨- الملمع: الحسين بن علي النمري: ت وجيهة أحمد السطل، مطبعة زيد بن ثابت، دمشق، ١٩٧٦م.
٣٩- مناهج النقد المعاصر: صلاح ،فضل أطلس للنشر والانتاج الإعلامي، الطبعة السادسة القاهرة، ٢٠١٢م.
٤٠- نظرية البنائية في النقد الأدبي: صلاح فصل دار الشروق، الطبعة الأولى، مصر، ١٩٩٨م.

الرسائل العلمية

١- توظيف اللون في شعر ابن الرومي: رسالة دكتوراه جامعة الزقازيق، مصر.
٢- التيارات النقدية الجديدة عند عبد الله الغذامي: وردة مداح رسالة ماجستير، جامعة العقيد الحج لخضر - باتنة، الجزائر، ٢٠١١م.
٣- دلالات الألوان في شعر نزار قباني: أحمد عبدالله محمد حمدان رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٨م.
٤- شعرية الألوان في النص الشعري الجزائري المعاصر فترة ١٩٨٨ - ٢٠٠٧م): صديقة معمر ، رسالة ماجستير ١٤٣١هـ - ٢٠١٠م .
٥- عتبة العنوان في الرواية الفلسطينية (دراسة) في النص الموازي فرج عبد الحسيب محمد مالكي، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.
٦- اللون في الشعر الأندلسي: فيروز الموسى رسالة ماجستير جامعة البعث، دمشق، سوريا، ٢٠٠٧م.
٧- اللون وأبعاده في الشعر الجاهلي - شعر المعلقات نموذجا: أمل محمود عبدالقادر أبو عون، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٣م.

٨- اللون ودلالته في شعر البحتري نصرة محمد محمود شحادة رسالة ماجستير، جامعة الخليل، فلسطين، ٢٠١٣م.
٩- نظام التواصل السيميولساني في كتاب الحيوان للجاحظ حسب نظرية بورس: عايدة حوشي، رسالة دكتوراه جامعة فرحات عباس سطيف – الجزائر، ٢٠٠٩م.

الدوريات والمجلات العلمية

١- الاغتراب والوجودية في أغاني الحارس المتعب لبلند الحيدري: أريج كنعان، مجلة كلية الآداب – جامعة بغداد العدد ١٠٢ .
٢- جماليات اللون في القصيدة العربية: محمد حافظ دياب، مجلة فصول، مصر، المجلد الخامس، العدد الثاني، يناير / فبراير / مارس ١٩٨٥م.
٣- سيمياء العنوان في ديوان (مقام) البوح) للشاعر عبد الله العشي: شادية شقروش، جامعة محمد خيضر – بسكرة – الجزائر ، ٢٠٠٢م.
٤- السيميائيات النشأة والموضوع: سعيد بنكراد، مجلة عالم الفكر ، الكويت، مج٣٥، ع٣.
٥- السيميوطيقيا والعنونة: جميل حمداوي، مجلة عالم الفكر ، الكويت، المجلد ٢٥، ع٣، يناير – مارس ١٩٩٧م.
٦- السيميائيات وموضوعها: سعيد بنكراد، مجلة علامات، المغرب، العدد ١٦، ١٩٩٨م.
٧- فاعلية السيميائية كاستراتيجية مقترحة في تنمية الإبداع اللغوي من خلال قراءة النص الرمزي نصف) كلمة لأحمد (رجب) لدى طلاب كلية التربية نادية أبو سكينة، الجمعية المصرية للمناهج وطرق التدريس ، ع ١٤٣، فبراير ٢٠٠٩م.